مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين

في التربية المسيحية

تأليف

المتنيح الأنبا يمين
أسقف ملوى وانصنا والأشمونين
وأستاذ أصول التربية
بالكلية الاكليريكية

دكتور سليمان نسيم
أستاذ التربية بجامعتى حلوان والقاهرة سابقاً
رئيس قسم الدراسات الاجتماعية والتربوية
بمعهد الدرسات القبطية

الجزء الثانى

عوامل التربية

فــى
التربية المسيحية

تأليــف

المتنيح
الأنبا بيمن
أسقف ملوى وانصنا والأشمونين
وأستاذ أصول التربية
بالكلية الاكليريكية

دكتور سليمان نسيم
أستاذ التربية بجامعتى حلوان والقاهرة سابقاً
رئيس قسم الدراسات الاجتماعية والتربوية
بمعهد الدرسات القبطية

الجـــــزء الثانى

عـــوامـل الـــتربيــة

الطبعة الخامسة

١٩٩٢

تقديم الكتاب ـ الطبعة الأولى
لحضرة صاحب القداسة الأنبا شنوده

مَنْ هو المعلم ومَنْ هو المربى ؟

المسيح إلهنا هو المعلم الصالح ، وهكذا كان يلقَّب ، وهكذا كان يعمل ، وهكذا قال عن نفسه : « معلمكم واحد المسيح » (مت ٢٣ : ٨) « و يكون الجميع متعلمين من الله » (يو ٦ : ٤٥) . وعندما صعد المسيح له المجد أرسل لنا البارقليط ، روح الله القدوس لكى يعلمنا و يرشدنا إلى جميع الحق (يو ١٦ : ١٣) . عندما يكون تعلمنا صادراً عن الله ، نضمن سلامة التعليم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن تعليم الله مزوّد بقوة منه للتنفيذ ، فهو يلقى إلينا كلامه المقدس اللازم لخلاص أنفسنا ، وفى كلامه قوة « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » (عب ٤ : ١٢) .

ولكن مع أننا نتعلم من الله ، والمسيح إلهنا هو المعلم ، والروح القدس يأخذ مما له ويخبرنا (يو ١٦ : ١٤) ، إلاَّ أن الرب أقام فى كنيسته معلمين « هو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء ، والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين » (أف ٤ : ١١) فما معنى هذا ؟ هل يوجد معلمون إلى جوار المسيح ؟ كلا ، يوجد هناك معلمون فى المسيح .

المعلم الحقيقى من بنى البشر ، هو ذلك الإنسان القديس الحكيم ، الذى يحمل المسيح فى داخله . والمسيح الذى فيه هو يعلم الناس فيه وبه . ومن النور الحقيقى الذى فيه ، يشرق هو على الآخرين بالنور . لقد قال يسوع المسيح له المجد : « أنا نور العالم » (يو ٨ : ١٢) . وقال أيضاً : « أنتم نور العالم » (مت ٥ : ١٤) . فما المقصود بهذا ؟ . لا شك أنه ـ فى الإنارة للآخرين ـ بيننا وبين المسيح فرق كبير جوهرى . هو منير بذاته ، لأنه النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آت إلى العالم ، أما نحن الذين

بنوره نعاين النور فإننا به ننير للآخرين. هو نور العالم بطريقة مباشرة، أما نحن فإننا مجرد حملة للنور. نوره الذى فينا هو الذى يضيء للناس. وإن لم يكن نوره فينا نصير ظلمة لأنفسنا وللآخرين. إن كان المسيح يحيا فينا (غل ٢: ٢٠)، فإنه يعمل بنا كل شيء، ولا نعمل نحن من ذواتنا إنما نحن نتأمل ما يعمله فينا وبواسطتنا ونقول: «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ٣).

لذلك ينبغى حينما نتحدث عن التربية الكنيسة أن نذكر دور المعلم فيها، وكيف ينبغى أن يكون مملوءاً من الروح القدس والحكمة حاملاً للمسيح فى داخله، لكى يكون «صالحاً للتعليم» و«مفصلاً كلمة الحق باستقامة»، ومعطياً لأولاده قدوة صالحة من حياته، حتى يمتصوا من صفاته الصالحة ما يروى ظمأ قلوبهم إلى الرب. وهكذا يتكلم بينهم بقوة الروح الذى فيه، وتقتدر كلماته كثيراً فى فعلها. مسكين ذلك المدرس الذى يعلم فى مدارس التربية الكنسية إن كان فارغاً من الداخل، لا أقصد فارغاً من المعلومات، وإنما من روح الله الذى حدثنا بولس عن ثماره بأنها «فرح، وسلام، وطول أناة، ولطف، وصلاح، وإيمان، ووداعة، وتعفف» (غل ٥: ٢٢).

ومسكين هذا المدرس إن كان خالياً من ثمار الروح هذه. وفى نفس الوقت مملوءاً من المعرفة. لأن مثل هذه المعرفة تنفخ (١ كو ٨: ١). مثل هذا قد يصلح أن يكون «دائرة معارف»، ولكنه لا يصلح أن يكون مربياً. أما أولاده فقد تمتلىء عقولهم أفكاراً، دون أن تقوى هذه الأفكار على تغيير حياتهم إلى الأفضل. حسناً قال معلمنا بولس الرسول: «وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة. لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله. لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر... بحكمة الله فى سر» (١ كو ١٢: ٤-٧).

المعلم فى خدمة التربية الكنسية ينبغى أن يكون أيضاً إنساناً ذا خبرة، حتى يكون عملياً فى تعليمه، لا يكلم أولاده عن نظريات لم يمارسها، وإنما عن خبرة ودراسة. وينبغى أيضاً أن يكون عارفاً بالنفس البشرية وكل عناصرها. يعرف حواس هذه النفس ومشاعرها وغرائزها وانفعالاتها وانطباعاتها. يعرف حالة كل مرحلة من مراحل السن وصفاتها وما يلائمها من طرق التدريس وطرق المعاملة. وذلك لأن «رابح

النفوس حكيم» (أم ١١ : ٣٠).

إن موضوع التربية المسيحية هو علم بكر بالنسبة إلى جيلنا هذا ، وإن كان الآباء قد طرقوا هذا الموضوع ـ بطريقتهم الخاصة ـ منذ اقدم العصور مثل القديس اكليمنضس الاسكندرى فى القرن الثانى فى كتابه «المربى» والقديس أوغسطينوس بعده بأكثر من قرنين فى كتابه «المعلم» ... وانه بلا شك مجهود مفرح ونافع هذا العمل الكبير الذى قام به الأستاذان سليمان نسيم وكمال حبيب بوضعهما هذا الكتاب ، حيث استفادا كثيراً من معلوماتهما القيمة فى التربية وعلم النفس . ومن خبرتهما الطويلة فى محيط التربية الدينية ، وصاغا الموضوع بطريقة روحية ، استخدمت المعرفة النفسية كأداة توضع فى يد النعمة لكى يعمل بها الروح عمله الإلهى فى تربية التلميذ تربية شاملة من كل ناحية .

من كل قلبي أشكرهما على هذا المجهود واهنئهما ، وأريد أن اعتبره مجرد خطوة أولى فى هذا الموضوع الواسع أو مجرد مقدمة له . الرب يعطيهما بنعمته أن يتبعا هذه المقدمة ببحوث أخرى تفصيلية .

وليعطِ الرب نعمة لمن يقرأ هذا الكتاب لفائدته وفائدة أولاده فى أسر التربية الكنسية ...

شـــنوده

أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية

٩/٢/١٩٦٣ (٢ أمشير)

تذكار القديس الأنبا بولا السائح

فكرة الكتاب

هذا كتاب فى التربية المسيحية وأصولها ، راعينا فيه أن يستند إلى الأسس الروحية والعلمية ، وقد لاحظنا أن هذه الأسس كثيراً ما تلتقى فى نقط مشتركة ؛ مما كشف لنا عن أوجه التشابه بين اتجاهات المسيحية فى تربية النفس البشرية وإعدادها للحياة الأفضل ، وبين اتجاهات التربية الصحيحة القائمة على فهم سليم لطبيعة النفس فى ظل التقدم الواضح الذى قطعته أبحاث علم النفس فى السنوات الأخيرة .

ولكن ليس معنى وجود نقط التقاء أن كلا الأهداف والطرائق متفقة ، فالمسيحية لها أهداف أسمى وأعمق مما تتطلبه التربية الاجتماعية ، كما أن الطريق فى المسيحية يختلف جذرياً عما رسمته نظريات التربية . لذلك يعتبر هذا الكتاب إبرازاً لأهداف وطرائق المسيحية فى تربية الإنسان من ناحية وتقويماً لمبادىء التربية من خلال النظرة المسيحية من ناحية أخرى .

وفى ضوء خبرة سنين طويلة فى خدمة الشباب والأطفال ، رأينا أن نقدم هذه المحاولة المتواضعة ، راجين أن تكون بركة للعاملين فى حقل الخدمة المتسع ، حقل التربية الهادفة إلى حياة أفضل .

ونرجو ألاَّ نكون مغالين إذا قلنا إن عملية التربية تعتبر من الدقة بمكان بحيث تتطلب حكمة ودراية ، إلى جانب حاجتها الأساسية إلى عمل النعمة فى المعلمين والمتعلمين جميعاً ، حتى ينتقل المؤمنون من مرحلة السماع والفهم إلى مرحلة الإيمان والتطبيق العملى .

وليس أصعب من التعامل نفسياً وتربوياً مع الأطفال والفتيان والشباب فى البيت والمدرسة والمجتمع ، خاصة فى ضوء ظروفنا الاجتماعية التى تمر بمرحلة تطور وتغير هائلة فى وقتنا الحاضر ، مما يتطلب الكثير من الجهود فى نشر الوعى الروحى التربوى بين الأمهات والآباء ، وبين المدرسين ، والخدام ، بل وبين الرعاة والقادة أنفسهم ، حتى يقوموا جميعاً على هذه المسئولية الخطيرة خير قيام ، ويسهموا فى إعداد المواطنين الأمناء

الساعين نحو الملكوت السماوى والذين يكونون أكفاء فى حسن التعامل مع بعضهم البعض مسهمين فى إيجابية واخلاص بتقديم كل ما يستطيعون من خدمات لوطنهم وكنيستهم بل وللإنسانية جمعاء مبتدئين بأنفسهم.

ولكى يسهم هذا الكتاب فى توصيل الفكر التربوى الأصيل إلى القارىء رأينا أن نكتب فصلاً عن الشخصية الإنسانية وكيف تعمل المسيحية على اعادتها إلى الصورة الإلهية، إذ لا شك أن هذه الغاية هى الهدف الأساسى لرسالة الخدمة المسيحية، ولكى نترجم هذا الفكر ترجمة عملية وضعنا منهجاً فى التربية المسيحية يستند إلى الأسس نفسها التى رسمها الكتاب المقدس وآباء الكنيسة، وقد وجدنا ـ كما سبق القول ـ أن هناك تطابقاً واضحاً بين هذه الأسس وبين كثير مما وصل إليه علم النفس التربوى من حقائق.

هذا ويلاحظ القارىء أننا نعيد طبع الكتاب للمرة الرابعة لكننا نقدمه هذه المرة فى شكل جديد فقد قسمناه إلى مجموعة كتب:

الكتاب الأول عن: التربية ـ ماهيتها ـ مجالاتها ـ مقارنة بين التعليم والتربية.

الكتاب الثانى عن: أوساط أو عوامل التربية وهو يعالج:
دور المنزل والتربية المنزلية ـ المدرسة كمجال للتربية الدينية ـ الكنيسة كمجال للتربية ـ خدمة التربية الكنسية ـ المسيح المربى ـ المعلم الكنسى وشروط إعداده.

الكتاب الثالث عن: طرق التعليم الدينى ويشمل:
قواعد التدريس ـ طرق تحضير الدرس للمراحل المختلفة ـ نماذج لبعض الدروس والانشطة.

الكتاب الرابع: ويدرس التربية الدينية خلال مراحل النمو مبتدئاً بتحديد مراحل النمو ـ ومشكلات كل مرحلة خاصة المراهقة والشباب أو البلوغ ثم يقدم معالم جديدة للتربية الجنسية المستنيرة.

الكتاب الخامس: عمل النعمة فى الشخصية الإنسانية ويدرس مكونات الشخصية الإنسانية وكيف تنمو العواطف والاتجاهات والحاجات وعلاقة هذا النمو بالقيم المسيحية ثم يبين مفهوم الصراع النفسى والعقد والانحرافات النفسية والعقلية وأنماط الشخصية وعمل النعمة فيها كأقوى أساليب الوقاية والعلاج.

واننا لنرجو أن يكون الكتاب فى صورته الجديدة بركة ونفعاً لقرائه وضوءاً هادياً يكشف أمامهم معالم الطريق الطويل إلى الحياة الأفضل خاصة فى عصر كثرت متغيراته وزادت مشكلاته وتحدياته.

مارس ١٩٨٥

المؤلفان

الجـــزء الثانى

عوامل التربية

عوامل التربية : المنزل ودور الأسرة فى التربية
المدرسة والكنيسة والتربية الكنسية كمجالات للتربية

لكى تتم عملية التربية لا بد لها من وسط اجتماعى يتعامل الطفل معه و ينمو من خلال تفاعله مع أفراده. والمنزل هو أول هذه الأوساط تليه المدرسة فالمجتمع الخارجى. وبالنسبة للتربية الدينية نضيف الكنيسة كوسط للنمو الروحى.

ونحاول أن ندرس هذه الأوساط التربوية بالتفصيل ثم نتتبع ما يمكن أن يقوم بينها من علاقات تساعد على تحقيق أهداف التربية المطلوبة.

أولاً - دور المنزل فى التربية الروحية

المنزل والتربية المنزلية :

تأتى أهمية التربية المنزلية فى توجيه نمو الطفل على ضوء الاعتبارات الآتية :

١ - مرونة الطفل فى سنواته الأولى ، وقابليته للتشكيل والتأثر بكل ما يقع تحت حواسه.

٢ - طول فترة طفولة الإنسان ، وأثر ذلك فى طول الفرصة المهيأة أمام الوالدين لتوجيه أطفالهما.

٣ - المنزل هو البيئة الاجتماعية الأولى التى تستقبل الطفل فهو يتلقى بها أولى خبراته ، وبها تتفتح مداركه لأول مرة على مَنْ فيها من أشخاص وأولهم الأم ، وعلى ما يسود بين أفرادها من علاقات. ولا شك أن لتماسك الأسرة أو لتفككها ، واستقرارها ماديا ونفسياً أو عدم استقرارها ، لهذا كله أكبر الأثر فى توجيه نمو الطفل وتحديد اتجاهات سلوكه.

٤ - إن لغريزة التقليد عند الطفل فى مراحل نموه الأولى تأثيراً كبيراً فى نقل انطباعات البيئة المنزلية وروح التعامل بين أفرادها إليه واندفاعه إلى تقليدهم فى تفاصيل سلوكهم ، وقد أثبت علماء التحليل النفسى أن ما يتطبع به الطفل فى مراحل نموه المبكرة له تأثير كبير فى توجيه سلوكه فى مراحل نموه التالية.

٥ - إن للعناية الصحية بالطفل فى مراحل نموه المبكرة تأثيراً كبيراً على نموه

الجسمى ، والعقلى ، والنفسى ، وتجنيبه الكثير من الأمراض .

٦ ـ للحياة الأقتصادية فى الأسرة تأثير كبير فى حياة الفرد حيث أن الفقر والغنى لهما تأثير واضح فى مدى توفير أسباب الراحة والصحة والترفيه وهى الحاجات الضرورية للفرد . فكلما توفرت هذه الحاجات تيسرت أمامه الحياة ، وتهيأت وسائل النمو السليم فتحققت له السلامة النفسية والجسمية . ونحن نقصد بالفقر مستوى العجز والحرمان .

٧ ـ الحياة الثقافية فى المنزل لها أثرها الكبير فى حياة الطفل فمدى اهتمام الوالدين بالقراءة والاطلاع ، واقتناء الكتب ، وتقديرهم للعلم والمعرفة ، هذه كلها لها تأثيرها فى نموه العقلى والاجتماعى . وقد أثبتت إحصاءات التعليم أن نسبة التفوق كبيرة بين أبناء المهتمين بالعلوم والمعارف .

أى أن الطفل تتوافر له فى منزله ـ فى مرحلة من أدق مراحل نموه ـ عناصر فعالة فى تكوين شخصيته وسلوكه ، وأسلوبه فى التعامل فى الحياة بعد ذلك ، حتى ليعتقد بعض علماء النفس أن اتجاهات الطفل المميزة تتكون فى الأغلب من خلال التربية المنزلية ، فى هذه المرحلة بالذات . حقيقة إن هذه الاتجاهات قابلة للتغيير بعد ذلك من تأثير عوامل التربية المختلفة ، ولكنها ـ على العموم ـ لها تأثيرها فى مراحل النمو التالية .

تأثير البيئة المنزلية :

١ ـ فى المنزل تتكون فكرة الطفل عن نفسه . وفكرته عن نفسه ما هى فى الواقع إلاّ انعكاس لفكرة الآخرين عنه . ولما كان أفراد الأسرة هم أول من يتعامل مع الطفل ، فإنه بالتدريج يأخذ فى فهم نفسه على ضوء هذا التعامل .

٢ ـ فى اتصال الطفل بإخوته ، وخاصة إذا كانوا قريبين منه فى السن ، فرصة لتعلم فكرة الحق ، وفكرة الواجب ، وكسب الخبرة فى الأخذ والعطاء ، وهذه إذا وجهت توجيهاً سليماً تكون أساساً للتكيف الاجتماعى السليم ولانتفاء كثير من مظاهر الأنانية وسوء التكيف فى المجتمع .

٣ ـ لقدوة الوالدين فى السلوك والتصرف تأثير شديد فى امتصاص الصغار لروح السلوك والتعامل . ولا شك أن صور التعامل بين الوالدين ، وبينهما وبين الخدم

والجيران والأصدقاء والأقارب، تؤثر تأثيراً واضحاً فيما يعتنقه الطفل فيما بعد من قيم إذ أنها تترك صوراً ذهنية تكمن فى العقل الباطن وتلون شكل السلوك العام للطفل.

٤ ـ إن لإشباع حاجات الطفل النفسية فى مراحل نموه المبكرة بطرق سوية لا تميل إلى القهر ولا تجنح إلى التدليل وهى الحاجة إلى الأمن، والعطف، والتقدير، والحرية، والنجاح، والضبط ـ تأثيراً واضحاً فى نمو الطفل النفسى وتجنبه الشعور بالخوف أو النقص أو الفشل. وهنا يبدو أثر معاملة الوالدين واضحاً فى عدم تمييزهم الواحد عن الآخر، أو تفضيل الولد عن البنت، فإن لهذا التمييز آثاراً نفسية بعيدة المدى فى إصابة الأطفال بالغيرة التى قد تتحول مع الوقت إلى شعور بالعدوان والرغبة فى الانتقام والتعويض عن العطف المفقود بوسائل شاذة.

٥ ـ إن اتباع نظرية الجزاء والعقاب منذ الصغر بطريقة سليمة يؤدى ولا شك إلى تعريف الطفل بالخطأ والصواب بشرط أن يخلو العقاب من روح الانتقام والعنف، وأن يخلو الثواب أيضاً من مكافأة الطفل على ما يجب أن يقوم به من أعمال أو يؤديه من واجبات حتى لا ينتظر المكافأة على كل ما يعمل مما يجعله أنانياً ضعيف الشخصية لا ينظر إلى الأمور نظرة طبيعية. وكلما تحول الثواب من المستوى المادى إلى المستوى المعنوى أو النفسى، كان ذلك أدعى إلى نمو الطفل نمواً سليماً واتباعه السلوك المرغوب فيه بطريقة أفضل. كذلك يجب ألاَّ يعاقب الطفل على خطأ واحد أكثر من مرة، وأن لا يعود الوالدان إلى معايرة الطفل بهذا الخطأ بعد ذلك.

مما سبق يتبين أن الطفل فى مراحل نموه المبكرة وعلى الأخص فى الخمس السنوات الأولى، يكون تحت تأثير والديه، وبإمكانهما أن يستفيدا من خصائص النمو فى هذه المرحلة، ومن مرونة واستعداد أطفالهما للتوجيه فى تربيتهم التربية السليمة التى تجعل منهم مواطنين أكفاء نافعين، وتجنبهم فى الوقت ذاته الكثير من أسباب الانحراف والشذوذ. ولكن كيف يتحقق ذلك؟

واجب الوالدين:

إن تحقيق هذا مرهون بسلوك الوالدين وقدوتهما الطيبة أو السيئة، فإن لهذه أكبر الأثر فى طبع الروح المنزلية بطابع خاص هو الذى يمتصه الطفل ثم ينعكس على

سلوكه. كذلك عليهما أن يقيما علاقاتهما معاً على أساس المحبة والاحترام المتبادلين، وأن يتبعا معاملة ثابتة مع أولادهما تجمع بين العطف والحزم، وتعطى للطفل فرصة الحرية وإنما فى إطار الضبط والنظام وتربى فيه الثقة بالنفس، وإحترام حريات الآخرين، ومشاعرهم، وتنمى فيه القدرة على الكف وضبط النفس وحسن المعاملة مع الغير.

ويخطىء كثيرون من الأمهات والآباء بتدخلهم فى كل صغيرة وكبيرة فى حياة أطفالهم، وبمحاولة تقييد تصرفاتهم، بإرادة وبدون إرادة، وقد يلجأون فى سبيل ذلك إلى وسائل العقاب والعنف والقهر مما يترتب عليه كبت حرية الطفل وإشعاره بالحرمان فيصاب بالتردد والجبن ويفشل فى تكوين النظرة الصائبة للأمور.

ومن الآباء مَنْ يرى فى أطفاله فرصة لتعويض ما يشعر به هو من نقص كالنقص فى التعليم مثلاً، أو النقص فى الشخصية، والفشل فى السيطرة على مَنْ حوله، فهنا يتبع مع أطفاله وسائل شاذة عنيفة قد تقتل فيهم النزعات الطبيعية للنمو الحر، فيتعذر عليهم أن ينموا نمواً استقلالياً سوياً.

ولخطورة دور المنزل فى التربية أنشئت فى بعض البلاد مدارس لتعليم الكبار، وتوجيههم إلى وسائل التربية السليمة، حتى تتحقق وحدة اتجاهات التربية بين الكبار والصغار. أى لا يجد الصغار فى مجتمعهم المنزلى مبادىء وقيم ومثل تختلف أختلافاً كلياً وجزئياً عن تلك التى يتعاملون بمقتضاها فى المدرسة. والمنزل المصرى يحتاج إلى مثل هذا الجهد نظراً لأنه فى الغالب لا يبذل جهداً مقصوداً فى توجيه أطفاله بل ربما كان العكس هو الصحيح إذ كثيراً ما يشجع فيهم الصفات غير المرغوب فيها باهماله تهيئة الجو المناسب للتربية السوية مما يعطل إعدادهم إعداداً صالحاً للحياة المستقبلة فى المجتمع. فالمجتمع لكى يكون سليماً متجانساً يجب أن يقوم على صفات أساسية مثل التعاون وتبادل الثقة بين الأفراد، والاعتماد على النفس، والمعاملة الصريحة المستقيمة. فإذا لم يدرب الطفل على هذه الصفات فى منزله عجز عن ممارستها فى حياته الاجتماعية بعد ذلك مما يؤدى إلى تفكك المجتمع وعدم وصوله إلى الرقى المطلوب.

وإذا كانت هذه هى مسئولية المنزل بوجه عام، فإن هذه المسئولية تزداد بالنسبة للمنزل المسيحى. فإن من يُعطى كثيراً يطالب بالكثير. والمنزل المسيحى قد أعطى

شريعة النعمة: شريعة العهد الجديد، وهى تتضمن فاعلية تفوق القوة الإنسانية، والفكر الإنسانى والحكمة الإنسانية. إنها نعمة فاعلة مجددة قادرة أن تجعل من الخاطىء باراً، ومن الهالك مخلصاً. لذلك نبحث ـ فى كثير من التفاصيل ـ إمكانيات المنزل المسيحى فى القيام بالتربية الروحية. ونبحث قبل ذلك الأسس الروحية التى أقامت عليها المسيحية المنزل المسيحى، والتى نظمت بمقتضاها العلاقات الأسرية بين أعضائه. فإن لها أخطر الأثر فى تهيئة الجو السليم للتربية السوية.

الأسس الروحية التى يقوم عليها المنزل المسيحى

١ ـ اكرام المسيحية للطفولة:

لقد أكرم السيد المسيح الأطفال ودعاهم إليه دعوة خاصة، ووضعهم كمثل أعلى فى الطهر والنقاء حتى نبه المؤمنين جميعاً إلى أن تشبههم بالأطفال يعتبر شرطاً أساسياً لدخول ملكوت السموات، وقد ترك هذا التوجيه أثراً عميقاً فى نفوس الآباء والأمهات، وكان إيذاناً بتغير النظرة إلى الطفل فأصبحت نظرة العطف والرعاية بعد أن كانت ـ فى المجتمعات اليهودية واليونانية والرومانية ـ نظرة العنف والقسوة التى بلغت حداً كبيراً إذ كانوا يتخلصون من الأطفال المرضى بالقتل.

وقد أكد القديس بولس هذا التوجيه حين خاطب الآباء «بألاَّ يغيظوا أولادهم لئلا يفشلوا» بل «يربوهم بتأديب الرب وإنذاره». وذكر القديس بطرس المعنى نفسه فى عظته التى سجلها القديس لوقا: «لأن الموعد هو لكم ولأولادكم» (أع ٢: ٣٩).

وجاء التقليد الكنسى فحتم عماد الأطفال مما أكد إعتبارهم، وأعترافه بمقامهم الجديد.

٢ ـ اكرام الوالدين:

وكان طبيعياً أن يقترن إهتمام المسيحية بالطفل والطفولة بالجانب المقابل وهو احترام الوالدين وإكرام الأمومة بصفة خاصة. وقد اتفقت شرائع المجتمعات القديمة

على « احترام الوالدين » ، وإكرامهما . فى العهد القديم « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيام حياتك على الأرض » وفى تقاليد مصر القديمة احتلت وصية الآباء لأبنائهم باحترام أمهاتهم مكان الأهمية . فلما جاءت المسيحية أكدت هذا المعنى فيقول القديس بولس : « أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى كل شىء لأن هذا مرضى عند الرب » .

وكان هذا فى الواقع تأكيداً لما ذكر عن « الصبى يسوع الذى كان خاضعاً لوالديه » (راجع أف ٦ : ١ ؛ كو ٣ : ٢٠ ؛ لو ٢ : ٥١)

وكان لصورة السيدة العذراء الأم إيحاء قوى فى إبراز معنى الأمومة . وكذلك كان اهتمام السيد المسيح بالطفولة مثار اهتمام الآباء والأمهات بها ، وكان لتوجيهها فى ضرورة إكرام الوالدين أكبر الأثر فى نفوس الأبناء ، وبذلك هيأت المسيحية الجو لعلاقات أسرية من نوع جديد .

٣ ـ استقرار الأسرة المسيحية على أسس روحية :

ولهذا الاستقرار فى الأسرة وفى العلاقات العائلية أكبر الأثر فى تحقيق أهداف التربية ، فالعلاقة الزوجية فى نظر المسيحية رباط إلهى ، والمحبة بينهما متبادلة (فالمرأة تخضع للرجل ، والرجل يحب المرأة ويحنو عليها) .

وقد أدى هذا التكييف الجديد للعلاقات الزوجية إلى إلغاء تسلط الرجل على المرأة ، وبالتالى إلى إلغاء ظاهرة التسرى ، أو إمتلاك الجوارى ، وهى الظاهرة الاجتماعية التى كانت سائدة فى المجتمعات القديمة .

وقد حرمت المسيحية انفصال الزوجين ، ومنعت كسر رباط الزوجية إلاَّ بالموت ، أو بسبب الخيانة الزوجية ، كما منعت تعدد الزوجات ، وأوصت الزوج أن يكون حنوناً على زوجته ، وبالنسبة للزوجة أن تكرم زوجها ولا تخالف أمره ، بل تزيد فى طاعته فى الرب .

٤ ـ الإهتمام بالعبادة العائلية :

يقول يوسابيوس المؤرخ [بعد دخول المسيحية مصر كانت بكل منزل بالاسكندرية

وما حولها وبخاصة قرب بحيرة مريوط حجرة للعبادة تسمى القلاية أو الحجرة المقدسة]. فى هذه الحجرة كانوا يمارسون ألوان العبادة المختلفة صائمين عن الطعام والشراب ومتع الجسد، مواصلين القراءة فى كتب الأنبياء وترتيل الألحان وقراءة أقوال الآباء المقدسة والأناجيل ووسائل الآباء الرسل والتأمل فيها. وكانت للمدائح والتسابيح أهمية بالغة فى حياتهم الروحية. وكانت هذه العبادات تعطى للمنزل المسيحى طابعاً خاصاً متميزاً عن المجتمع الخارجى المنحل. وكان الطفل يمتص هذا النوع من السلوك الروحى وهو بعد فى بواكير الطفولة حين تتفتح مداركه على أصوات العبادة وألحان السلام والكمال. وقد جاء هذا تطبيقاً لكلمة السيد المسيح: «حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى فأنا أكون فى وسطهم» وقد يقصد بالاثنين هنا الزوج وزوجته، والثلاثة يقصد بهم الزوج والزوجة والطفل أى إذا اجتمعت الأسرة باسم المسيح كان هو فى وسطهم يباركهم ويهبهم نعمته وسلامه.

وللتدليل على ثمار التربية المنزلية المسيحية نذكر أمثلة:

فأوريجانوس مثلاً لقنه أبوه فى طفولته مبادىء المسيحية والكثير من مبادىء العلوم الأخرى فأظهر ذكاء مفرطاً، ولما قبض على والده وسجن بسبب مسيحيته أثناء اضطهاد سيفيروس سنة ٢٠٢م حاول أوريجانوس اللحاق به ليموت معه لولا أن منعته أمه بأن حجزت ملابسه، فما كان من الفتى إلاَّ أن أرسل إليه خطاباً يقول فيه: [حذار أن يغير العذاب رأيك. لا تهتم بنا فإن الله سبحانه وتعالى لن ينسانا].

وبطرس البابا الـ ١٧ كان أبوه كاهناً بارّاً، له زوجة طاهرة، ولم يكن لهما ولد. فلما رزقا ببطرس رباه أحسن تربية وأرسله أبوه إلى المدرسة الكنسية وهو بعد فى الخامسة من عمره، وسيم قساً ثم اختير بطريركاً سنة ٣٠٠.

والبابا كيرلس الكبير (٤١٢ - ٤٤٤) كان فى طفولته موضع رعاية خاله البابا ثاؤفيلس البابا الثالث والعشرين فأشرف على تعليمه التعليم الروحى والزمنى ثم أرسله فى مرحلة شبابه المبكر إلى برية وادى النطرون بدير أنبا مقار [فأقام هناك خمس سنين يقرأ الكتب ويشرف أحد شيوخ الدير الحكماء على تربيته].

وكذلك التأثير العائلى نلمس آثاره فى القديس أنطونيوس أب الرهبان، والأنبا شنوده رئيس المتوحدين.

ولم تكن العناية بتربية البنت أقل من العناية بتربية الولد ، وفى القديسة دميانة ، وبوطامينا ، والست رفقة وغيرهن نجد مُثلاً واضحة للاهتمام بتربيتهن .

(راجع أيضاً الأمثلة التى ذكرت فى الكتاب المقدس : صموئيل وتيموثاوس وغيرهما) .

٥ ـ قانون المحبة :

لقد ساد مبدأ المحبة على أفراد المجتمع المسيحى . يقول أحد المؤرخين : [بتأسيس الكنيسة المسيحية بدأ حكم المحبة على الأرض] وقد تبع هذا المبدأ سيادة عواطف الود والأخوة بين أفراد المجتمع المسيحى ، بل إنهم زادوا على ذلك أنهم مدوا يد المساعدة والعون للمحتاجين والمرضى حتى للبعيدين عنهم فى بلاد أخرى ، وللوثنيين أعدائهم إذ كانوا يعتنون بمرضاهم و يصلون لأجلهم و يتبرعون بالأموال لخدمتهم . وقد استمدوا هذه الخصال كلها من طبيعة الوصية المسيحية ذاتها . وكانت هذه الألوان من السلوك مُثلاً عملية يقدمها المجتمع للناشئة فيتشبعون بها منذ طفولتهم وتثبت فى عقولهم الباطنة لتوجه سلوكهم فى مراحل نموهم التالية .

أهمية الأسرة مسيحياً

إذا كان المجتمع يعتبر الأسرة هى نواة المجتمع وأساس تماسكه ، فإن الكنيسة تعتبر الأسرة المسيحية هى خميرة الإيمان المباركة التى توضع فى ثلاث أكيال من دقيق لتخمير العجين كله ، فالأسرة المسيحية هى أساس نمو وبنيان وامتداد كنيسة الله المقدسة ، ولا يمكن أن نتصور وجود كنيسة بدون العائلة . فالعائلة هى التى تمد الكنيسة بجماعة المؤمنين ، وهى التى تلد أعضاء جدد ، وهى التى تصون الإيمان وتحفظه وتعيشه وتطبقه وتختبره ، وتطبق كل ما تنادى به الكنيسة لخلاص العالم ...

• • •

ومنذ بدء الخليقة ، والعائلة كانت النموذج الذى فى قصد الله ... فقد خلق الله حواء لتكون شريكة لآدم ، ثم أمرهما أن يكثرا و ينسلا ويملئا الأرض ... وكان القصد

من نشأة العائلة هو تكوين وحدة روحية وشركة محبة وألفة وبذل بين جميع الأعضاء، كي تكون العائلة نموذجاً بسيطاً للوحدة القائمة بين الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس.

ولكن الخطيئة التى دخلت إلى العالم بحسد إبليس مزّقت الوحدة التى كانت بين آدم وحواء، وأدخلت أموراً غريبة كنتائج للعصيان والسقوط.

+ فالله قبل السقوط كان يكلم آدم وحواء على أنهما شخص واحد ولكن بعد المعصية بدأ ظهور الانفرادية. آدم أين أنت؟

+ والعلاقة المرجوة بين آدم وحواء قبل السقوط كانت علاقة الحب والألفة وتبادل الود، ولكن اللعنة التى نزلت على آدم وحواء بسبب العصيان أنتجت علاقات غريبة عن النموذج المبارك الذى وضعه الرب فى البدء.

وامتدت آثار الخطيئة فى نسل الأبوين الأولين وازداد الفساد وسرى الشر حتى أن قايين قتل أخاه هابيل!! ورغم هذا كله فإن هذا الوشاح الذى تمزق بسبب العصيان مافتىء يحمل فى طياته بعض سمات الحياة الفردوسية؛ فقد بقيت فكرة الأسرة فى الإنسان مجالاً للتعاون المشترك بين الرجل والمرأة، وخاصة لمواجهة المعاناة الجديدة على أرض لُعنت وصارت تنتج شوكاً وحسكاً، وأصبح الإنسان الطبيعى يسعى إلى الزواج للقضاء على العزلة والفراغ الداخلى، لعله يجد فى الشريك الآخر ما يحل له مشكلته الداخلية، أو على الأقل يعينه فى المعاناة الحتمية فى مسار هذه الحياة الدنيا.

وتميزت العلاقات الإنسانية الراقية فى الحياة العائلية بالسعى نحو الارتباط والالتزام ومقاومة التسلط، أو الأنانية من أى طرف من الأطراف حتى يبقى كيان الأسرة متماسكاً... وفى اليوم الذى تظهر فيه الميول الآدمية والدوافع الحوائية يبدأ التضارب الصارخ فى الظهور فالرجل يريد أن يتسلط ويتكبر ويتمرد، والمرأة تحاول أن تشتهى وتمتلك وتغرى بالطرق المكيرة لمقاومة أى شعور بالنقص الداخلى... وتكون النتيجة الحتمية إنهيار الأسرة لأن «كل بيت ينقسم على ذاته يخرب»... ولأجل هذا صرح موسى بالطلاق لقساوة قلوب الناس وعدم قدرتهم على ممارسة الأنماط السلوكية الكاملة التى قصدها الرب من حياة الزيجة.

لكن بالرغم من هذا كله امتلأ العهد القديم بسير مباركة كانت كالمشاعل على الطريق تشهد للحق الإلهى، وتمجد الخالق فى السيرة والتفاعل والسلوك. نذكر مثلاً إبراهيم أبا الآباء وزوجته الطاهرة المباركة سارة، ونذكر إسحق ابن الموعد وزوجته رفقة، ونذكر يعقوب وراحيل، كنماذج للوفاء والإيمان والقداسة والحب المتبادل...

* * *

أما المسيحية فقد غيرت وجه التاريخ بالنسبة لموضوعنا هذا. فإنها لم تأت لكى ترقى بالعلاقات العائلية والإنسانية، ولم تأت برقعة جديدة على ثوب عتيق، لأنها تعرف أن طبيعة الإنسان فاسدة مهما حاولت التنشئة والتربية إصلاحها وتهذيبها وترقيتها... لقد أوجدت المسيحية فى الإنسان طبيعة جديدة، إنها أعادت خلقته من جديد عندما تلده بالماء والروح، وهذه الطبيعة الروحانية التى تملأ حياة المؤمن هى وحدها القادرة أن تتحد مع الآخرين فى وحدة المحبة الصميمة وشركة الاتحاد الكيانى التى يسميها الكتاب المقدس وحدة المؤمنين أى الكنيسة...

فالكنيسة - فى جوهرها المسيحى - هى وحدة وانصهار شخصيات فريدة متنوعة بفعل الروح القدس فى المحبة والبذل والانفتاح وشركة العطاء وإهلاك الذات.

والقديس باسيليوس الكبير يعبر عن هذا العمل ويشبهه بوحدة حبات الحنطة، عندما تطحن وتنصهر وتتحد وتعجن لتصبح قرباناً يوضع على المذبح ليتقدس ويصير جسد المسيح الحى. هكذا تذوب الانفرادية والانعزالية والأنانية والآدمية والحوائية ليكون المسيح هو الكل فى الكل...

ومن خلال وحدة الإيمان الفريدة هذه تتكون العائلة المسيحية إذ يتقدم مسيحى مؤمن ليتزوج مسيحية مؤمنة، وكل منهما مستعد للعطاء والبذل، فتنشأ الأسرة على شبه الكنيسة وصورتها. لهذا لم يكن مصادفة أن يشبه الرسول بولس وحدة الرجل مع المرأة فى سر الزيجة بوحدة المسيح مع الكنيسة. ومعنى هذا أنه إذا لم يلتق الرجل مع المرأة بالحب والبذل، فإن الزواج لا يكون قد حقق هدفه الإنجيلى، ولا تكون الأسرة حسب القصد الإلهى والنموذج اليسوعى. أما إذا إستطاع الرجل والمرأة فى شركة الحياة الزوجية أن يكونا واحداً فكراً وقلباً وروحاً وجسداً، وذلك بنعمة السر الإلهى وفعل

الروح القدس ، فإنهما يستطيعان أن يدخلا أطفالهما فى هذه الوحدة المقدسة تماماً كما نضيف دقيقاً على خميرة صالحة ، أو كما نضيف زيتاً على عطر زكى ، على حد تعبير ذهبى الفم .

وهنا ينشأ الفارق بين وظيفة الأسرة فى المفهوم المسيحى ، وبينها فى المفهوم الإنسانى الاجتماعى العادى الطبيعى .

+ فالأفراد فى الأسرة الإنسانية كحبات المسبحة ، يربطهم خيط واحد ، هو رباط التعاون الأسرى والولاء العائلى .

+ والأعضاء فى كنيسة الأسرة هم كاعضاء الجسد يتحدون إتحاداً عميقاً و يتصلون اتصالاً دائماً بالرأس ، الذى هو المسيح ...

فالمسيح ـ له المجد ـ فى الأسرة المسيحية هو أصلها وأساسها وهدفها ومجدها وغايتها وعزاؤها ومنتهى رجائها وقصدها ؛ وممارسة الحياة فى المسيح والشركة فى المسيح والعزاء فى المسيح والألم فى المسيح هو الطريق الوحيد لتحقيق هدف الأسرة والقصد من وجودها فى الزمان .

وظـــائف الأســـرة

من هذا المنطلق نستطيع أن نتبين وظائف هامة للأسرة المسيحية نركزها فيما يلى :

١ ـ وظيفة الحب :

هذه هى أولى الوظائف فى الأسرة المسيحية ، وإذا انتفت أصبحت الأسرة بلا معنى .. حب جميع الأفراد للرب يسوع .. ومن خلال هذا الحب ينبع الحب المتبادل بين أعضاء الأسرة كلها .

إن المحبة التى تملك قلوب أعضاء الأسرة تعطى المعنى وتشرح الهدف الذى من أجله رسم الله الزواج والاتصال بين الرجل والمرأة ، حقاً سوف يختفى فى الملكوت كل ما يتفق وقوانين الزمان ، ولا يبقى إلاّ ما يتناغم والخلود ، فلا يوجد هناك زواج

وتناسل لأن الهدف يكون قد تحقق، والكنيسة قد استكملت أعضاءها ورفعت فوق الزمان.. أما المحبة القائمة بين الأزواج والزوجات، وبين الآباء والبنين، فهى وحدها التى ستدوم فى الأبدية وتدخل فى الخلود..

فلو كان هدف الأسرة هو التكاثر وإيجاد النسل فقط لأصبح من المصرح به أن يطلق الرجل إمرأته إن كانت عاقراً. ولكن لأن الهدف الأول من الأسرة المسيحية هو تحقيق الحب المتبادل فالأسرة تستطيع أن توجد حتى لو لم يوجد الطفل.. وهذا الحب المسيحى فى الأسرة التى لا تنجب أطفالاً بالجسد، يثمر فى مجالات أخرى عندما تتبنى الأسرة أطفالاً أيتاماً، أو عندما تتفرغ الزوجة لرعاية أبناء ملجأ، أو عندما يتكرس الزوج لخدمة عائلات المحتاجين والأرامل والأيتام والغرباء وكل من لهم عوز... ولكن الطفل بالذات له قيمة كبرى فى الأسرة المسيحية لأن فيه تلتقى مشاعر المحبة المتدفقة من كلا الوالدين، وكأن الطفل هو ملتقى مصب نهر الأبوة الخالد ونهر الأمومة الحانية العطوفة الأبدى.. إنه ثمرة الحب المتبادل بين الزوجين، الحب الذى يمتد فيشمل كل جوانب حياتهما الجسدية والوجدانية.

وعندما ينشأ الطفل فى أسرة مسيحية حقيقية فإنه يتشرب الدين فى مذاق الحب، ويتشبع بروح الوقار والقداسة، ويمتلىء من مخافة الله وحبه، ويرسخ فيه الإيمان بوجود الله الحى الآب السماوى، ويتفتح وجدانه نحو حب الرب يسوع وقديسيه والشغف بالحياة الأبدية والتطلع إلى ما هو وراء المنظور.

إن الطفل فى سنيه الأولى يكون قادراً على التطبع والتشكل لما له من قدرة على الأستهواء والتقليد والمحاكاة والتأثر بكل ما يقع تحت حواسه، وما يلمس وجدانه الطاهر..

٢ ـ إيجاد أعضاء أحياء لكنيسة الله :

إن هدف إنجاب النسل أمر مقرر من الرب « اثمروا واكثروا » وفى صلوات الإنجيل تقول الكنيسة «فعلى هذا الرسم وهذه السُنة هكذا إتخذ سائر الآباء المؤمنين إمرأة واحدة بطهر ونقاوة **لطلب الذرية وإيجاد الخلف**: فيجب عليكما أن يعرف بعضكما حق بعض ويخضع كل منكما لصاحبه».

وفى العهد القديم نجد أن النسل الكثير بركة من الله . فقد دعا يعقوب لابنه يوسف ببركات الثديين والرحم (تك ٤٩ : ٢٥) كما طلب إرميا من العبرانيين أن يأخذوا لبنيهم نساء ويعطوا لبناتهم رجالاً فيلدن بنين وبنات ، ويكثرون هناك ولا تقلوا (إر ٢٩ : ٦) ؛ وتجد المزامير العائلات الكبيرة كبركة خاصة من الله (مز ١٢٧ ؛ ١٢٨) ، ويطلب هوشع النبى إلى الله أن يعاقب أعداء إسرائيل بإعطائهم رحماً عقيماً وثديين يابسين (هو ٩ : ١٤) .

ولكن العهد الجديد لم يركز على التكاثر والنسل الجسدى . وإنما أهتم أهتماماً كبيراً بالميلاد الروحى ... الميلاد الذى من فوق بالماء والروح . فبولس الرسول يتكلم كثيراً عن أولاده الذين يتمخض بهم حتى يتصور المسيح فيهم (غلا ٤ : ١٩) وعن الذين ولدهم فى قيوده (فل ١ : ١٠) والرب نفسه كرّم الولادة الروحية عن الأنساب الجسدية عندما صرخت المرأة بفرح قائلة : « مبارك البطن الذى حملك ، والثديين اللتين رضعتهما » (لو ١١ : ٢٧) فكانت إجابة الرب : « بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » .

والقديس أوغسطينوس يقول : « ليكن من بركات الزواج النسل المولود لا ولادة جسدية فقط بل المولود ثانية إنه يولد جسدياً للعقاب والهلاك والدينونة إن لم يولد ثانية للحياة الأبدية » .

ومعنى هذا أن وظيفة الوالدين لا تنتهى عند حد إنجاب الأولاد وتنشئتهم إجتماعياً وخلقية وعلمية طيبة ، لأن هذا كله على مستوى الطبيعة الجسدية ، ونهايتها الهلاك والحريق .

وإنما الوظيفة الأساسية هى ولادتهم ولادة روحية ... وإذا كان الإشبين يعلن الإيمان المسيحى ويجحد الشيطان عند معمودية الطفل ، فإن عملية تسليم الإيمان للطفل أمر واجب عليه حتى ينضج ويبلغ السن الذى يستطيع فيه أن يجحد الشيطان وكل حيله ، بارادته المستقلة وإيمانه الشخصى والاختبارى .

لأجل هذا تضع الكنيسة سر التوبة امتداداً لسر المعمودية ، وبدون تربية الأطفال على حياة الشركة مع الله وممارسة سر التوبة بنية وإرادة - خاصة عندما يصلون بداية

مرحلة المراهقة. فإن الطفل قد ينحرف نتيجة ظروف المجتمع وتياراته المختلفة وهكذا تقع المسئولية على الأسرة أن يعملوا كل ما فى جهدهم كى يتمم أولادهم خلاصهم بخوف ورعدة.

ومن هنا تظهر أهمية العبادة العائلية، والجو الروحى المنزلى، والقدوة الصالحة فى السلوك والتصرف من الوالدين والاخوة الكبار واحترام تعاليم الكنيسة وتوقير رجالها وممارسة أصوامها وصلواتها وأعيادها وتقدماتها بكل أمانة.

وإذا كان هدف تكوين الأسرة هو إمتداد ملكوت الله بايجاد أعضاء جدد تكون لهم حياة الشركة مع الرب، وبهم تنمو وتزداد بيعة الله، إلاَّ أنه من واجب الأسرة الروحية أن تقدم أفضل من عندها ليكون ذبيحة وتكريساً لخدمة الإنجيل أو المذبح... فالأسرة المسيحية تقدم أحسن الذبائح للكنيسة كما قدم هابيل الصديق أحسن ذبائحه، فتنسم فيها الرب رائحة الرضا، أى أن مسئولية الأسرة ليست محددة بتوصيل الإيمان إلى أبنائها فقط، بل إلى تشجيعهم على تكريس حياتهم لخدمة اسم الله العظيم القدوس، لأن مثل هؤلاء المكرسين يخدمون ويكرزون ويتوبون، وبذلك يكون عملهم داخلاً فى صميم إمتداد الكنيسة وملكوت الله...

٣ ـ الشهادة الحسنة أمام الذين هم من خارج :

إذا كان الرب قد قال لتلاميذه « وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » فإن الآباء قد فسروا هذا بأن أورشليم هى الحياة الداخلية فى القلب، واليهودية هى الحياة العائلية، والسامرة هى الحياة القومية، وأقصى الأرض تشمل إتساع المسكونة.

ومعنى هذا أن وظيفة الأسرة هى إعداد قديسين يشهدون للمسيح بسيرتهم وبأقوالهم، بصمتهم وبكرازتهم، بمحبتهم وبصلاتهم. وتكون الحياة العائلية هى الخلية التى يستكمل كل عضو فيها سمات ربنا يسوع المسيح حتى إذا خرج إلى خارج حمل صورة المسيح البهية، ورائحة المسيح الذكية. ولقد اشتهرت بيوتنا القبطية بما لها من طابع مسيحى أصيل بسمات مقدسة ظلت شهادة للمسيح العامل فى الكنيسة والأسرة معاً، ونذكر من هذه السمات **العفة والحشمة والطهارة** والوقار الجنسى، وهذه

الرائحة الذكية يتنسمها الأطفال منذ نعومة أظافرهم و يصطبغون بها ، إلى حد أن نتانة العالم الخارجى وإثاراته الشهوانية لا تستطيع أن تخرج منهم هذه العفة الأصيلة وذاك الوقار العظيم .

وترتبط بفضيلة العفة والحشمة فضيلة أخرى تابعة وهى الصوت الخفيض . فمن المشهور عن الأسرة المسيحية أنها هادئة صامتة يسودها جو روحى هادىء يشجع كل فرد فيها على التأمل والصلاة الداخلية والتفكير الرصين ، والتعمق ، وعدم التشبث والضياع بسبب الفوضى والضوضاء والانزعاجات المختلفة .

وهنا يلزمنا أن نشير إلى أن بعض العائلات قد خرجت على هذا الوقار فى هذه الأيام وسمحت لنفسها أن تشاهد برامج خليعة فى التلفزيون - بالذات - وأخذت تسمح بتعليق صور بعض الممثلات غير المحتشمات ... إلخ هذه الأمور الغريبة التى تُظهر أن مثل هذه البيوت لا تتمتع بحياة القداسة ولا تعيش فى خوف الله إنتظاراً لمجيئة الثانى المخوف المملوء مجداً .

• • •

والسمة الثانية هى **العطاء وإكرام الضيوف والغرباء** فقد اشتهرت البيوت المسيحية (بالمضيفيات) أو الأجنحة الخاصة باستضافة الغرباء والنزلاء ... وإلى يومنا هذا نجد بيوتنا القديمة فى الصعيد تعمر بالأجنحة المخصصة لخدمة الزائرين والضيوف . وليست هذه فضيلة اجتماعية فقط ، ولكنها تلبية لأمر إلهى ، حتى أن بولس الرسول اشترط فى رسامة الأسقف أن يكون صاحياً عاقلاً محتشماً مضيفاً للغرباء (١ تى ٣ : ٢) . ومهما كانت ظروف المساكن الحالية وضيق مساحة البيوت فإن العائلة لا تخلى نفسها من مسئولية إستضافة المحتاجين والغرباء والخدام والوعاظ الذين يتعبون فى خدمة الكلمة ... وقد تنشىء الكنائس مثل هذه الأجنحة بجوار مبانيها وهذا أمر حيد ، ولكن نزول هذه الجماعات فى البيوت المسيحية لحدوث التفاعل المسيحى المطلوب أمر يلزم ألاَّ نتجنبه .

والسمة الثالثة هى **الوطنية وعدم التعصب** ، وهذه السمة شهد بها اللورد كرومر فى كتابه «مصر الحديثة» عندما بين أنه لم يستطع إستخدام الأقباط وسيلة لتنفيذ

مآربه الاستعمارية. وعندما قال إن الأقباط والمسلمين يعيشون فى مصر روح التآخى، ولا يميزهم إلاَّ أن هذا يذهب للكنيسة وذاك يذهب للجامع.. والأسرة المسيحية الحقيقية تشجع أطفالها - منذ صغرهم - على الاشتراك مع مواطنين يختلفون معهم فى الديانة والمذهب والعقيدة على مستوى الوطنية وخدمة البلاد وتأسيس دولة يسودها الوعى الوطنى والأخاء بين المواطنين وتقديس المصلحة الوطنية فوق كل إعتبار.

أما الانعزالية والتوقع والتعصب، فهذه دلالة على وجود روح الطائفية التى يلزم إبادتها فى الجو المنزلى. ويستطيع الوالدان أن يساعدا ابنهما على مواجهة أى تحيز أو جفاء يبديه زميل له فى المدرسة مختلف عنه ديناً أو مذهباً، وذلك بأن يقدم الابن روح المودة، لا عن ضعف أو جبن، بل عن قوة وافصاح عن الإنجيل المعاش فى القلب، كما يشجع الوالدان أبناءهم على ألاَّ يحكموا أحكاماً دينية على التصرفات الاجتماعية والظاهرات الاقتصادية والنفسية. انهم يرشدونهم إلى كيفية الحياة بصفاء روحى داخلى ونقاء اجتماعى خارجى، بإيمان اختبارى داخلى فى القلب، ووعى وطنى مستنير لخدمة الوطن.

والسمة الرابعة التى نختارها من الجو الأسرى المسيحى هى سمة **التماسك الداخلى** وحل المشكلات الناجمة من التفاعلات المختلفة بروح الصلاة والهدوء. وبالإلتجاء إلى آباء الكنيسة وبالابتعاد تماماً عن المحاكم العالمية حسب قول الرسول: «ألستم أنتم تدينون الذين من داخل» (١ كو ٥: ١٢) وفى موضع آخر يقول: «أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر أن يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين. ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم، فإن كان العالم يدان بكم أفانتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأ ولى أمور هذه الحياة. فإن كان لكم محاكم فى أمور هذه الحياة فاجلسوا المحتقرين فى الكنيسة قضاة. لتخجيلكم أقول. أهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر أن يقضى بين اخوته!!» (١ كو ٦: ١-٥).

ومعنى هذا أن ظاهرة إلتجاء بعض المسيحيين حالياً إلى المحاكم وساحات القضاء تكشف عن تنازل رهيب للروح المسيحية الأصيلة، كما أن إلتجاء أطراف النزاع فى الأسرة المسيحية إلى التطليق وتفكيك روابط الأسرة المقدسة يبرز ويوضح ما تعانيه

الأسر من محنة وإنهيار وتنازل عن الإيمان المسلم مرة للقديسين.

ألا ليت الله يرحم بيوتنا ويجعلها بيوت بركة ، بيوت صلاة ، بيوت قداسة . نعم يارب انعم بها علينا وعلى الآتين من بعدنا ...

* * *

و ينقلنا هذا إلى الحديث عن العلاقة التى يجب أن تقوم بين الأسرة والكنيسة .

المنزل المسيحى والمساهمة فى خدمة الكنيسة :

إن الكنيسة هى أمنا بالروح ، ترعانا وتحنو علينا ، وبدون أسرارها المقدسة لا تكون لنا حياة أو نمو روحى . لذلك يجب أن نبادلها حباً وخدمة بخدمة .

وخدمتنا للكنيسة يمكن أن تأخذ أحد طريقين : فإما أن يكرّس الواحد منا نفسه كلية لخدمتها عن طريق إحدى رتب المذبح ، أو أن يخدمها جزئياً بمواهبه . وهذه المواهب متنوعة : العلم ، المال ، التدبير ، الوعظ ، التعليم ، إلى غير ذلك من نواحى الخدمة ، التى تتباين ولا شك وفق ظروف كل منا . ولكنها وإن تباينت إلاّ أن هناك خطا مشتركاً يضم بينها : إن الروح العامل واحد : الروح القدس الذى يحركنا للخدمة دون غرض أو حب للظهور . ولو فعلت ذلك كل الأسرة لأصبحت أسرنا جميعاً تلتقى فى الكنيسة على حب وود وبذل ، ولأصبح كل عضو منا مساهماً ، بالقليل أو بالكثير ، حسبما أعطى من مواهب ، فى خدمة الجماعة ، ولقد شبه القديس بولس الكنيسة بالجسد ، والمؤمنين بأعضاء هذا الجسد ، إن تألم عضو تألمت له بقية الأعضاء . و يقوى هذا الشعور بوجود الراعى الأمين الذى يفتقد أبناءه و يشاركهم أفراحهم وأحزانهم و ينفعل لمشاكلهم وتجاربهم ، و يشعر أنها مشاكله هو فلا يهدأ أو يستريح إلاّ إذا وجد لها حلاً . وقد تكون فكرة العضوية الكنسية عاملاً مساعداً على تحقيق هذا الأمل (١) .

(راجع الحديث عن الجسد والأعضاء فى ١ كو ١٢) .

---

١ ـ العضوية الكنسية يقصد بها أن تكون كل أسرة عضواً حياً بالكنيسة تؤدى للكنيسة الواجبات عليها . مقابل خدمة الكنيسة لها ، فهى علاقة روحية تقوم على المحبة وتبادل الخدمة . وحبذا صدور كتاب خاص عن هذا الموضوع ينير الطريق أمام رعاتنا وخدامنا .

فإذا أردنا أن نعدد واجبات الأسرة المسيحية نحو الكنيسة ، فى شىء من التفصيل ، وجدنا أن من هذه الواجبات : تقديم النذور والعشور والبكور : وهذه فرصة ثمينة تَذكر فيها الكنيسة الأسرة فى صلاتها لتطلب عنها قبول قرابينها وتقدماتها . وفى وعى الأسرة بمشكلات الكنيسة واحتياجاتها المعنوية والمادية كأن تكون فى حاجة إلى تبرعات لمبانى تقوم بها ، أو مشروعات معينة تقوم على خدمتها : فى هذا الوعى وسيلة ولا شك لمشاركة الأسرة للكنيسة فى التزاماتها وخدماتها .

و يدخل فى واجبات المنزل أيضاً احترام الأسرة لرجل الدين حتى ينتقل هذا الاحترام ، بالنسبة للصغار ، إلى الدين نفسه . وغير خاف علينا أن الملحدين وأصحاب المذاهب الهدامة يهاجمون دائماً فكرة الدين عن طريق إبراز عيوب رجاله وخدامه . وهنا تتحقق كلمة القديس بولس : « إنه بسببكم يجدف على الاسم الحسن » .

وحقيقة أن لكل إنسان عيباً ، ولكن النظرة دائماً إلى رجل الدين أنه رجل الله وانه منزه عن الكثير من الأخطاء والضعفات التى يقع فيها العاديون من الناس . فالأسرة باحترامها لرجل الدين القديس تنقل هيبة الدين نفسه إلى أطفالها وأبنائها .

أما إذا انحرف رجل الدين عن جادة رسالته وواجباته المقدسة فيجب علينا أن نصلى من أجله ، وفى وداعة واتضاع ننبهه ونعاونه على أداء رسالته . وشكراً لله على أن كنيستنا ديمقراطية : فالقديس بولس يطلب من المؤمنين أن يصلوا من أجله : « ليعطنى الرب حكمة عند افتتاح فمى للكلام بسر الإنجيل » والقداس الإلهى ليس صلاة سرية كما هو الحال عند بعض العقائد الأخرى ، ولكنه شركة بين الكاهن والشماس والشعب . كنيستنا الديمقراطية هذه تعطى للشعب فرصة اختيار الراعى من الأب البطريرك إلى أصغر رتبه شماسية . لماذا ؟ لأن هؤلاء سيعودون خداماً للشعب فيجب أن يكون إختيارهم برضائه وموافقته . وإذن فلا حجاب بين الأب الراعى وشعبه . فيجب أن نعاونه ونشجعه ، فمسئوليته جسيمة وواجباته عديدة .

على أن نظرة المنزل المسيحى للكنيسة يجب ألاَّ تقتصر على كنيسة الحى الذى يسكنه . وإنما إلى جانب مساهمة المنزل فى كنيسته القريبة يجب أن يشعر بأن عليه واجباً إزاء الكنيسة العامة : فيجب أن يصلى من أجل الرعاة ، وأن يكون على وعى بالمشاكل العامة التى تمس الكنيسة ليشارك فى العمل على حلها بمواهبه وإمكانياته .

نحن نريد للمنزل المسيحى فى مصر أن يشعر بواجباته الكبيرة نحو الكنيسة ، أن يتفاعل معها و ينفعل لآلامها وأفراحها ، أن يدرس تاريخها وعقائدها ، و يصلى من أجلها ، بل ويحيا حياتها ثم يحتمل فى سبيلها . وفى الوقت نفسه ألا يهمل واجباته نحو الوطن ، فالوطن هو المحل المشترك لنا جميعاً نخدمه ونبذل من أجله .

بعد ذلك يبقى على المنزل المسيحى واجب على أكبر جانب من الأهمية : موقفه من الطوائف الأجنبية وإجتماعاتها وتعاليمها . إنه لمن العار على المنزل القبطى الذى أخرج أعاظم القديسين والبابوات والعلماء أن يأكل فضلات موائد غيره من المنحرفين فكيف نترك كنيستنا المقدسة لنذهب إلى اجتماعات وعظ غريبة تبعدنا عن جو كنيستنا الروحانى . فالوعى الروحى هنا عامل هام فى وقاية بيوتنا من الانحراف الروحى والاندفاع وراء مبادىء غريبة . إن الروحانية الأصيلة لا يمكن أن يكمل تكوينها إلاَّ داخل الكنيسة : بالصوم ، بالتوبة ، بالقداس بواسطة الأب الكاهن الذى تسلم كهنوته عن رسل المسيح له المجد . بدون ذلك لا يمكن الوصول إلى معرفة الحق . ولا شك أن تمسك المنزل القبطى بمبادئه الأرثوذكسية القويمة سينتقل إلى الصغار فيثبتون فى كنيسة المسيح المقدسة مستقيمة الرأى .

ومما يؤكد تثبيت أطفالنا فى الطقس الأرثوذكسى احتفاؤنا بالأعياد السيدية ، وأعياد العذراء ، والشهداء ، واشتراكنا فى المناسبات الروحية الحلوة التى تهيئها لنا كنيستنا : كتسبحة كيهك ، وأسبوع الآلام وغيرها : فإن اتصال الأطفال بالجو الروحى فى مثل هذه المناسبات كفيل ولا شك بتثبيتهم فى الإيمان الحقيقى وتأصيله فى قلوبهم .

هذه هى أهم الواجبات التى يجب على المنزل أن يراعيها . وننتقل الآن إلى دراسة المدرسة كعامل من عوامل التربية ، ودور الكنيسة إزاءها فى خدمة دروس الدين من ناحية ، ورعاية المدرسين والتلاميذ المسيحيين بها من ناحية أخرى .

ثانياً ـ المدرسة كمجال للتربية

بتعقد نظم المجتمع وارتقاء وسائله فى التعامل والانتاج ، وتعدد نواحى النشاط فيه وانتقال الإنسان من حياة البداوة إلى الزراعة ثم إلى الصناعة ، نشأت مهن جديدة ،

التلميذ على مدرس متدين تديناً سليماً مهذباً تهذيباً راقياً فإنه يسلمه مقاليد حياته ليرتفع معه فى سلم الفضائل إلى درجات روحية عالية. والتلميذ يعرض على مدرسه المحبوب لديه مشكلاته الروحية والنفسية والجنسية بصراحة فى الوقت الذى لا يعرضها على والديه. فإذا وجد من مدرسه مرشداً روحياً إجتماعياً صالحاً فإنه يتمكن من أن يحيا حياة هادئة. وقد قيل إن الأفراد الذين لا مرشد لهم كأوراق الشجر يسقطون. وقد عرفت الدولة أهمية ما نقول فجعلت الدين مادة أساسية.

ولكن هذا الاجراء رغم ترحيب الكثيرين من رجال الدين به، إلاَّ أنه لا يخلو من سلبيات متعلقة بظروفنا الحالية كعدم وجود المدرسين الصالحين وعدم وجود الكتب والمراجع الصالحة، والغش فى الامتحانات، وقلق المدرسين، وعدم فهم هؤلاء للمعايير الصحيحة للتربية الدينية. بل وكثيراً ما يكره التلاميذ الدين لأن امتحاناته جاءت صعبة، وكثيراً ما يرتبط فى ذهن التلميذ أن الدين علم يدرس فى حصة معينة فليحفظ ولتلقى معلوماته على أوراق الامتحان فلا داعى إذاً لأن يهتم التلميذ بالدين فى غير حصة الدين (٢).

هذه نواحى يجب معالجتها فى المدرسة كما يجب أيضاً مراعاة إشباع ميول الطفل وحاجاته بكافة ألوان النشاط الرياضى والاجتماعى والهوايات، ووسائل شغل أوقات الفراغ. وتنمية التذوق الجمالى والتفكير السليم، والجسم السليم حتى يشب وهو أقدر ما يكون على النمو نمواً متكاملاً.

دور المدرسة فى التربية الدينية:

والآن نتساءل هل للتربية الدينية نصيب من جهود المدرسة ؟ إن «الدين» ولا شك عنصر هام من عناصر التراث الإنسانى. ومادامت مهمة المدرسة أن «تنقل» هذا التراث إلى الناشئة، فإنها تعنى ولا شك بنقل العقيدة الدينية، وتجعلها «مادة» من مواد الدراسة. وهنا نقطة الخطأ الكبرى. إذ سرعان ما يتحول الدين إلى حصة ومنهج وامتحانات.

ومن المؤلم حقاً أن نرى بعض التلاميذ يحاولون الغش فى امتحان الدين!! مما

---

٢ ـ الاستفتاءات التى أجريت بين المدرسين ونتائجها.

يقطع بأن ما تلقوه من تعاليم دينية جاء على هامش حياتهم، دون أن يغيرها. وليس هناك فشل أعظم أو أخطر من هذا.

فإذا أردنا أن نمعن النظر فى هذه المشكلة وجدنا أن الكنيسة يجب أن تتدخل بوسيلة أو بأخرى فى توجيه المدرسة للوسائل الصحيحة المؤدية إلى التربية الدينية السليمة، ولا نقول المؤدية إلى تدريس الدين لأن الدين والأخلاق والفضائل لا تدرس وإنما تكتسب أو قل تسلم من شخص لآخر عن طريق القدوة والمثال الصالح (٣).

وإذا كان الدين قد أصبح « مادة دراسية » بحصص ثابتة، ومنهج محدد، وامتحان فى نهاية العام، فإن معنى ذلك أنه دخل القالب العام الذى تسير فيه المدرسة المصرية الحالية من حيث اهتمامها بالمواد، وبالامتحانات، وبالتلقين دون نظر أو أعتبار - إلاَّ فى القليل - إلى تنمية شخصيات التلاميذ، وإكسابهم الاتجاهات والعادات السليمة وتدريبهم عن طريق الجو المدرسى إلى نوع السلوك الاجتماعى المرغوب فيه. نقول إذا كان التوفيق قد جانب المدرسة - بوجه عام - فى تحقيق هذه الأهداف فإن دور الكنيسة قد أزداد خطورة لأن الواجب يلزمها أن تتدخل لتحقيق الغاية من درس الدين. وهناك عدة اعتبارات تُلزم الكنيسة بهذا التدخل:

١ - ان درس الدين قد يهمل لأسباب عدة: إرهاق المدرسين، كثرة المواد، ضيق الوقت وخاصة فى المدارس الابتدائية التى يتبع بها نظام الفترتين، وقد لوحظ أن درس الدين تخصص له فى الكثير من المدارس - على تباين أنواعها: الإبتدائية والإعدادية، والثانوية، والفنية، الحصص الأخيرة، فإذا لم يحضر المدرس انصرف الأولاد، وتفادت إدارة المدرسة ما قد ينجم عن وجود فصل دون مدرس من ارتباك، كما أن بعض المدارس قد لا يكون بها مكان لحصة الدين المسيحى، بل أن بعضها الآخر قد لا يوجد فيها مدرس مسيحى أصلاً.

٢ - عدم توفر نوع المدرس المسيحى الذى تتوفر فيه شروط القدوة. وإذا كانت مهنة التربية تتطلب فى المربى شروطاً كثيرة تأتى فى مقدمتها الأخلاق الفاضلة والمثال

---

٣ - واضح من سير الكلام أن التوجيه هنا منصب على التربية الدينية المسيحية فالواقع أن التربية الإسلامية بمدارسنا يقوم بها عادة مدرسو اللغة العربية وهم - وفق مناهج دراستهم - معدون لتدريس الدين الإسلامى.

الصالح فى السلوك ، فإن التربية الدينية ـ من وجهة النظر المسيحية ـ تتطلب كمالاً أكثر ـ فإذا أعتبرنا الدين حياة ومبادىء تسلم بالقدوة والتصرف ـ كما يعلمنا الكتاب المقدس لكفانا من مدرس الدين فى المدرسة ـ إذا جاز هذا التعبير ـ أن يعظ و يعلم بطرق معاملته لزملائه وتلاميذه لأنه فى هذه الحالة سيظهر ثمار مسيحيته فى أعماله فمن يراها « يمجد أباه الذى فى السموات » :

٣ ـ وقد يدخل المدرس فعلاً درس الدين ولكنه يستغله للراحة أو لتصحيح الكراسات ، و يكتفى بأن يقرأ الدرس فى الكتاب المقرر فى حوالى ربع ساعة ، خاصة وأن مناهج الدين وكتبه فى وضعها الحالى تبدو سهلة وفى غير حاجة إلى الكثير من الشرح فضلاً عن أنه لا يوجد تفتيش يتابع عملية تدريس الدين ، وأن الامتحانات يمكن أن تكتفى بأبسط الاجابات .

٤ ـ وبينما نرى أن المدرس يعد لتدريس مواد تخصصه ، و يطلب منه أن يتابع الجديد الذى يستجد على هذه المواد ، إذا بتدريس الدين بوضعه الحالى لا يسبقه تدريب أو إعداد (٤) بل هو فى أغلب الأمر يأتى تكملة جدول !!

وقد يشكل توزيع دروس الدين فى بعض المدارس على واضع الجدول فيضعها ـ كما سبق القول ـ فى نهاية اليوم المدرسى لتأخذ شكلها الروتينى ، أما التنفيذ فموضوع آخر !!

ولهذه الأسباب أصبح درس الدين بوضعه الراهن فى الكثير من المدارس لا يحقق الغاية المطلوبة منه . بل على العكس ربما تحدث منه أضرار مختلفة : كأن يتكلم غير المختصين فى شئون التربية الدينية فى موضوعات لا يفهمونها فيشككون الأولاد ـ خاصة فى مرحلة المراهقة ـ التى قد ينظر التلميذ خلالها إلى مدرسه أنه مثله الأعلى فيأخذ آراءه

---

٤ ـ كانت إدارة التدريب بوزارة التربية قد أعدت أخيراً مشروع تدريب مدرسى الدين ولكنه تأخر فى التنفيذ فلعله ينفذ فى هذا العام ، وينفذ مشروع الاعتراف بخريجى الكلية الاكليريكية كمدرسين متخصصين لخدمة التربية الدينية .

وموقتا طالبت حلقات التدريب فى حلقاتها بضرورة تعيين موجه عام بالوزارة وموجهين بالمناطق لهذه المادة تنتهى إليه تقارير تدريب المادة .

راجع قرارات أغسطس سنة ١٩٦٨ ، فبراير سنة ١٩٧٠ .

قضايا مسلم بها ... وقد تكون آراء ملحدة أو هدامة ـ فتكون النتائج وبيلة خاصة فيما يتصل بحياة الطهارة وموضوعات العفة .

على أننا ـ مع ذلك ـ نسجل بالفخر لبعض الأساتذة فى المدارس اهتمامهم بهذا الموضوع وأخذهم الحصص المقررة مأخذ الجدية حتى أننا نراهم لا يتقيدون بمناهج مكتوبة ، ولكنهم يعملون على نقل روح الدين إلى تلاميذهم بقدوتهم وتعاليمهم الحية .

واجب الكنيسة إزاء التربية الدينية بالمدرسة :

إذا كانت هذه الأوضاع هى بالنسبة للتربية الدينية بمدارس التعليم العام والتعليم الفنى ، فما هو واجب الكنيسة إزاءها ؟ إننا نقصد بالكنيسة هنا معنيين يكمل أحدهما الآخر : المعنى الأول : الكنيسة العامة من حيث هى رئاسة دينية ، تعمل على التفكير فى استغلال وتوجيه كل القوى التى تؤدى إلى تحقيق الحياة الأفضل لأبنائها وقيادتهم إلى الملكوت . هذه الرئاسة أو القيادة من واجبها أن تقوم بتحديد المشاكل التى تتصل بأبنائها ، لتدرسها ، وتضع لها الحلول ـ بروح الإيمان والثقة فى مواعيد الله ـ ولو على مدى طويل : خمس أو عشر سنوات مثلاً شأنها فى ذلك شأن الحكومات المستنيرة التى تضع برامج السنوات الخمس وتتابع تنفيذها وتنشىء أجهزة التقويم التى تراقب مدى نجاحها . وهكذا . فإذا كان هذا شأن أهل الأرض فبالأولى كنيسة الله : عمود الحق وقاعدته .

أما المعنى الثانى ـ وهو الأقرب إلينا فى هذا الموضوع ـ فنقصد به كنيسة الحى الذى تقع به المدرسة ، وهناك عدة وسائل يمكن للكنيسة أن تتبعها لتكوين الصلة بينها وبين المدرسة ، ولكننا قبل أن نعدد هذه الوسائل نرى من الضرورى أن يتوفر فى الأب الكاهن الحماس الروحى الشخصى لخدمة أبنائه تلاميذ المدارس الواقعة فى حيه بصرف النظر عن موقع سكنهم بالأحياء الأخرى . إن هذا الحماس كفيل بأن يجعله يخصص الكثير من الجهود التى تحقق خلاص هؤلاء التلاميذ ـ بنين وبنات بطبيعة الحال ـ وتغيير حياتهم إلى المستوى المسيحى : مستوى الكمال . ومن تكرار القول ان هؤلاء الأبناء هم عدة الغد : عدة الوطن والكنيسة والإنسانية : فهذه قضية معروفة .

ثالثاً ـ الكنيسة كمجال للتربية الروحية

تهيىء الكنيسة للطفل ـ منذ ولادته ـ مجالاً للنمو الروحى . وهذه هى رسالتها التربوية منذ ظهور المسيحية :

١ ـ إنها تمنح الطفل نعمة الميلاد الثانى :

مجددة طبيعته الجسدية بطبيعة أخرى روحية لأن « المولود من الروح فهو روح » (يو ٣ : ٦) ومعنى الولادة الروحية أن يصبح الطفل ابناً لله بالتبنى « وكل مَن ولد من الله لا يخطىء ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه » (١ يو ٥ : ١٨) .

و يرتبط العماد بعملية تربوية على أكبر جانب من الخطورة : فالوالدان يتعهدان بالمحافظة على سلامة الطفل ، وخاصة من الناحية الروحية . والكنيسة تنتهز فرصة عماد الطفل لتوجه للوالدين الكثير من النصائح والوصايا . بل وتزيد على ذلك فتعهد به إلى « إشبين » أو وصىّ للاشراف على تربيته حتى يسلمه فى مرحلة البلوغ إلى أب الاعتراف . وقد جرت العادة فى القرون الأولى على تغيير الاسم عقب العماد ليكون جديداً تبعاً للحياة التىْ انتقل إليها المؤمن . وكانت أسماء الأطفال تختار من الكتاب المقدس لتحمل معها إلى المعمدين فضائل أصحابها .

٢ ـ تمنح الكنيسة للطفل أيضاً سر الميرون :

أو سر المسحة المقدسة أو سر التثبيت ، وبهذا السر يصبح هيكلاً لسكنى روح الله ، فيمتلىء من الروح القدس ، وتحل عليه مواهبه الإلهية . مواهب العزاء والحكمة والنصرة والصبر ، بل إن هذه المسحة تعلمه كل شىء (راجع إنجيل القديس يوحنا ص ١٤ : ٢٦ ؛ ١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) وتظهر فيه ثمار الفضيلة الإلهية : « المحبة ، الفرح ، السلام ، طول الأناة ، اللطف ، الصلاح ، الإيمان ، الوداعة ، التعفف » (راجع غلاطية ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

٣ ـ فى مرحلة البلوغ :

توجهه الكنيسة إلى ممارسة سر التوبة وأهم عناصره الاعتراف . فالمعمودية وإن جددت الطفل ، والمسحة المقدسة وإن قدسته وثبتت فيه جذور النعمة والفضيلة الإلهية ـ إلاَّ أنه حين يكبر يتعرض للخطأ نتيجة الصراع الطبيعى بين الخير والشر. وفى سر الاعتراف مراعاة للفروق الفردية والاهتمام الخاص بكل عضو فى ضوء ظروفه النفسية والاجتماعية والعقلية والصحية . ولاهمية الاعتراف ، وعظم مسئوليته ، لم يكن يختار لممارسته سوى الكهنة المختبرين الذين أمضوا فى الخدمة مدة كافية ، فأصبحوا قادرين أن يطببوا النفوس و يعالجوها . فأب الاعتراف أب ، وطبيب ، وقاض ، فهو أب من حيث أنه المرشد الحنون المحتمل ، وهو الطبيب الذى يصف الدواء لكل سقوط ، وهو القاضى الذى يدين و يؤدب بالسلطة المعطاة له من الله . وكانت الكنيسة فى عصورها الأولى تخصص للمنضمين إلى الإيمان قسماً خاصاً أطلقت عليه « خورس الموعوظين » وكانت تراعى ـ فى دقة ـ أن الموعوظين لا ينتقلون إلى « خورس المؤمنين » إلاَّ بعد أن ينالوا سر المعمودية وتظهر فى حياتهم ثمار الإيمان و يعتمدون .

أما الموعوظ ، الذى لم ينل العماد بعد ، فإنه لم يكن يعتبر عضواً إلاَّ بعد عماده .

وكانت لهذه الخوارس دلالتان تربويتان واضحتان : الأولى أنها تبين الوضع الحقيقى لكل أعضاء الكنيسة ، والثانية أنها تكشف عن سلطان الكنيسة وتأثير توجيهها على جمهور المؤمنين .

٤ ـ طقوس الكنيسة رسالة تربوية مستمر :

أعتمدت الكنيسة فى توجيه أعضائها ، وتهيئة الجو الروحى اللازم لنموهم فى الفضيلة ، على الخدمات الطقسية الموجهة ، فمن طريق الخدمات الطقسية كان مضمون التعليم الدينى يسلم للشخص . بمعنى أوضح أنه عن طريق القراءات والعبادات الجمهورية ، وتقديس يوم الأحد ، والتعهد الفردى ، والصوم ، كان المسيحيون ينمون فى الحياة الروحية . وتعتبر ذكرى آلام السيد المسيح فرصة تربوية ثمينة فى تدريب المؤمنين على التأمل العميق وأحتمال آلام الجوع إذ كانوا يقتصرون على تناول الخبز والملح ، وتستطيل عباداتهم ، وتزدحم بالترتيل والصلوات والقراءات الطويلة فى

الكتاب المقدس. وفى وقت الحزن والمرض تقوم الكنيسة بواجب العزاء والصلاة والمجاملة، فللمريض تقيم سر مسحة المرضى، وللحزين تقيم صلوات للتعزية والتشجيع.

بل إن الطقوس شملت أيضاً نظام بناء الكنائس فهى تبنى عادة على هيئة السفينة رمزاً إلى الفلك الذى نجا به نوح من الغرق. وتتباين ألحان الكنيسة بين مناسبة وأخرى، وكذلك فصول الأناجيل، والقراءات فى الرسائل، فهى فى الأصوام غيرها فى الأعياد، وفى شهر كيهك غيرها فى الخماسين، ولأعياد العذراء، والملائكة، والآباء، والشهداء صلوات وقراءات وألحان خاصة، فيها توجيهات تربوية مقصودة، توجيهات تمس العاطفة وتوقظ الضمير، وتوجه العقل والسلوك إلى الحياة المقدسة. هذا عدا الصلوات الخاصة بالمرضى، والمعوزين، والضالين. هذا التنوع فى العبادات والقراءات يبين فى وضوح أننا لن نجد الأسس الحقيقية للتربية المسيحية - وبالذات فى الكنيسة القبطية التى حافظت بقوة على هذا التراث الهائل - إلاَّ إذا رجعنا إلى هذه الطقوس. ولهذا تعتبر الطقوس جزءاً أساسياً من طبيعة الكنيسة ذاتها، ومن فلسفتها فى التربية الروحية.

٥ - للألحان مكانة خاصة متميزة بين هذه الطقوس :

إذا كانت الألحان تختلف بين مناسبة وأخرى إلاَّ أنها عامل مشترك فى الطقوس الكنسية كلها وخاصة فى العبادة الجمهورية يوم الأحد، وغير الأحد، وليالى الأعياد، وأسبوع الآلام. ويرى بعض علماء الموسيقى أن الكنيسة القبطية كنيسة الموسيقى إذ تكاد كل كلمة تقال فيها على مدار السنة سواء فى النهار أو فى الليل أن تكون موسيقية.

٦ - مركز الأيقونات فى الكنيسة :

منذ أوائل العصور المسيحية وللأيقونات مكانة خاصة لما لها من تأثير فى النفس من حيث أنها تذكير بفضائل القديسين أصحابها. ومن الطقوس الثابتة فى الكنيسة منذ أوائل العصور المسيحية إيقاد الشموع أمام صور القديسين، كما يشع نور هؤلاء

القديسين تطبيقاً لقول السيد المسيح : «أنتم نور العالم» . وفى الصلاة الجمهورية تقرأ سير القديسين كنماذج للفضيلة ، والثبات فى الجهاد الروحى . وكانت هذه السير تسجل أولاً بأول وخاصة فى أسقفية الاسكندرية . فقد جرت عادة البابوات الآوائل أن يسجل كل منهم سيرة سلفه . أما بالنسبة للشهداء فكانت كل كنيسة تحتفظ لديها بسجلات خاصة عن شهدائها تسجل بها تواريخ استشهادهم حتى أصبحت هذه السجلات - مع الوقت - أساساً لعمل التقاويم السنوية .

وكذلك كان دفن الشهداء مناسبة تربوية عميقة المغزى : ذلك أنه بعد دفن أجساد الشهداء القديسين كان المؤمنون والموعوظون يجتمعون دون خوف ، وأمامهم المثل العملية للتضحية والبذل . وبهذه الوسيلة كانت الكنيسة تعد أبناءها للاستشهاد ، وان هذا الإعداد فى ذاته مدرسة ذات تعليم مقصود لمواجهة الموت .

٧ - إن الكنيسة لم تقف عند تهيئة الجو الروحى :

وتوجيه أعضائها إلى حياة الفضيلة المسيحية ، وإنما نشرت بين مؤمنيها خاصة ، والشعوب عامة ، تطبيقات المحبة والتسامح وافعال الرحمة والتعاطف فغيرت النظرة إلى المرأة والطفل ودعت إلى احترامهما كما دعت إلى إخلاء سبيل العبيد ، ومقاطعة الملاهى العالمية ، كما وجهت الاهتمام إلى اشتراكية التعامل عاملة بقول السيد المسيح : «مَن كان له ثوبان فليعط مَن ليس له» . فعلت هذا كله دون تفرقة بين جنس وجنس ، أو بين لون ولون ، أو بين قومية وأخرى : فكأن الكنيسة كانت مجالاً أيضاً للتدريب على الحياة الاجتماعية الناجحة ، وعلى تكوين علاقات اجتماعية على مستوى عملى حتى قال بعض مؤرخى التربية : لقد اتجهت الكنيسة إلى تطبيق فضيلة المحبة لله والناس بطرق عملية .

٨ - دور الكنيسة فى نقل التراث الدينى :

وبالاضافة إلى ما سبق تقوم الكنيسة بنقل التراث الدينى والروحى إلى الأجيال الناشئة : فبتعاليمها ، وطقوسها ، وخدماتها المختلفة تقوم بنقل التعليم الدينى ومضمون الإيمان المسيحى إلى الأجيال الناشئة . وبذلك تضمن المحافظة على تراثها واستمرار نمو تعاليمها وانتشارها .

وعندما تلمذ السيد المسيح ٧٢ رسولاً ليعلمهم و يسلمهم مبادئه ـ كان بذلك يضع الأساس الأول لانتشار المسيحية من بعده لكى تصل إلى أقصى الأرض، و يكرز بالإنجيل فى المسكونة كلها. وعلى هذا النموذج سار هؤلاء الرسل من بعده فكانوا يتلمذون آخرين، و يقيمون أساقفة ليواصلوا التعليم والكرازة أى ليتابعوا عملية نقل التراث المسيحى لمن بعدهم. ولا يزال هذا التقليد معمولاً به حتى الآن.

٩ ـ واجب الكنيسة فى مجتمع متطور:

إن المجتمع الإنسانى دائم التغير والتطور. والاختراعات الحديثة تزيد من هذا التغير وتبرزه. وقد وضح فى وقتنا الحاضر الفارق الكبير بين القيم المادية الطاغية، والقيم الروحية التى يزهد فيها الناس تحت تأثير المادة. فما هى رسالة الكنيسة فى هذه الظروف؟

رسالتها الأساسية أن تواصل دعوتها إلى التوبة وتبشيرها بالحياة الفضلى، وعلى مدى تاريخها الطويل قدمت الكنيسة الكثير من مثل السلوك الكامل: الكثير من القديسين الذين كانوا نوراً أضاء للآخرين، كذلك اعتنقت الكنيسة عقيدة الشهادة والاستشهاد لأجل نشر رسالة الفداء والخلاص والحياة الأبدية. وفى الوقت الحاضر تحتاج الانسانية من الكنيسة إلى زيادة الجهد فى الخدمة والرعاية والبذل لكى تؤكد إتجاهات المحبة والتعاطف والسلام. وتقضى على ما ساد بين الأمم لوقت طويل من ظلم واغتصاب.

وهكذا ترفع الكنيسة صليبها وتعلن بشارتها المفرحة بعمل النعمة فى تجديد النفس وقدرة الروح على تغيير الحياة مهما كانت ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية سيئة للغاية. فقيَم الكنيسة ومبادؤها وأهدافها واتجاهاتها لا تتغير بتغير قيم المجتمع. لأن النفس البشرية ـ فى أى عصر ـ فى حاجة إلى الخلاص. والإنجيل والأسرار كافيان لضمان هذه الهبة الإلهية.. أما النفس التى تتلامس مع الروح فهى توهب قدرة سمائية، بها تستطيع أن تقف أمام ظروف الحياة الزمنية المتغيرة.

وصفوة القول: إن عمل الكنيسة فى دائرة النفس البشرية أن تتجدد لتشهد للمسيح فى كل ظرف وكل حال.

وفى إطار الأسرة تحتاج العائلة إلى خدمة قوية من الكنيسة لكى تدفع عنها عوامل الهدم والشقاق، كى تكون كل أسرة لبنة حية فى البنيان الكنسى، تمارس خبرة الحق والواجب على أكمل صورة. وفى هذا تدريب لأفراد الشعب على أن يتخذوا موقفاً إيجابياً فى علاقتهم بالله، وفى علاقتهم ببعضهم البعض.

وساسة الدول، ورجال الحكومات يحتاجون أن يسمعوا من الكنيسة صوت الدعوة إلى السلام والتعايش السلمى.

والشباب يحتاج إلى صوت الكنيسة ليثبت فى حياة الطهارة والعفة والجهاد.

على أن هذا الصوت لن يصدر عن الكنيسة ما لم يكن رجالها والقائمون فى خدمتها مثالاً للسلوك المسيحى الحقيقى. فوسيلة نقل الإيمان المسيحى ليست الوعظ والتعليم فقط، ولكنها القدوة والحياة الفاضلة أولاً. يقول القديس بولس: «تمثلوا بى كما أنا بالمسيح» والمسيح رأس الكنيسة، فاذا سلك الرعاة والخدام على مثاله أمكنهم أن يقدموه للناس من خلال حياتهم هم. والخطأ الكبير الذى يقع فيه الرعاة والخدام أن يكون هناك فارق واضح بين تعليمهم وسلوكهم. ومن ثم يصبح تعليمهم جافاً وبلا ثمر. ويستطيع الخدام أن يحيوا زمن المعجزات: فالمعجزات قرينة القداسة وإنكار الذات واحتمال آلام الصليب بشكر. فإذا كانت للخدام هذه المواهب المسيحية أصبح للكنيسة سلطانها الذى لا يعلى عليه. يقول القديس لوقا الإنجيلى مؤرخ أعمال الرسل: «إن نعمة عظيمة كانت على جميعهم» ولذلك فإن الرب «كان يضم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون».

فرسالة الكنيسة هى تغيير حياة الناس وجذبهم إلى الحياة الفضلى بفرح ومسرة قلب. أما وسيلتها فى ذلك فهى النعمة الإلهية الفائقة الطبيعة التى يمنحها الله للمؤمن فتتحدد طبيعته ويصبح شريكاً للطبيعة الإلهية، ويقول القديس أثناسيوس فى هذا المعنى: [إن الله قد صار إنساناً ليجعلنا نحن أن نصير آلهة] هذا هو جوهر رسالة الكنيسة فى كل وقت، وفى كل مجتمع، وتحت أى سياسة وحكم. فالكرازة بالحق والحياة الفضلى لا تتأثر بالظروف فالكنيسة الأولى نشأت وسط الاضطهادات، وقد قال بعض الآباء: [كلما ازداد حصار الوثنيين للمسيحيين زاد عددهم وانتشر إيمانهم!!] وستظل هذه رسالة الكنيسة إلى الأبد: توصيل الناس إلى حياة الكمال

والنصرة، على أساس المحبة الكاملة لله والناس..

رابعاً ـ التربية الكنسية كمجال للتربية

الحياة الروحية بين التعليم والتسليم :

إذا كنا قد درسنا الكنيسة كوسط من أوساط التربية الروحية والنفسية، فيجب أن نذكر أنه من أوائل العصور المسيحية والكنيسة تهتم إهتماماً بالغاً بإنشاء المدرسة لنقل حقائق الإيمان إلى المبتدئين والموعوظين. وكانت هذه المدارس تضم الكبار المنضمين إلى الإيمان حديثاً، فلما انتشرت المسيحية، وأصبح الصغار ينالون سر العماد فى طفولتهم، أخذوا نصيباً من الجهد فى خدمتهم وتعليمهم، لكن هذه الخدمة لم تأخذ شكل تعليم أو تلقين لمجرد نقل المعلومات أو الحقائق الإيمانية، وإنما اتخذت ـ داخل الكنيسة ـ شكل التلمذة أى التربية بمعناها الأشمل: فالسلوك المسيحى، والفكر المسيحى، والحياة المسيحية ـ بكلياتها وجزئياتها ـ تنتقل من المعلم إلى تلاميذه فهو يحيا معهم حياة الإيمان العامل بالمحبة وكأنه يؤكد كلمة يوحنا الحبيب فى نقل الصورة الحقيقية للتربية المسيحية فى وضعها الأصيل حين يتحدث عن: «الذى كان من البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة... الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى تكون لكم شركة معنا، أما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١ يو ١: ١ ـ ٣) وهذا ما يؤكده القديس بولس المعلم حين يتحدث إلى تلميذه القديس تيموثاوس منبهاً، ومحذراً من الانحراف بتذكيره بقدوته له فيقول: «وأما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى واضطهاداتى وآلامى... فاثبت على ما تعلمت وايقنت عارفاً ممن تعلمت» (٢ تى ٣: ١٠ ـ ١٤) ولم يأت يوحنا وبولس بهذا التعليم من وحى تفكير بشرى أرضى، وإنما استلهماه من قدوة رب المجد الذى غسل أرجل تلاميذه ثم قال لهم: «فإن كنت وأنا السيد المعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأنى أعطيكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً» (يو ١٣: ١٤، ١٥) وغسل الأرجل هنا نموذج للتناهى فى خدمة المحبة،

التى يجب أن يبدأها المعلم فتنتقل بالقدوة إلى تلاميذه : «لأن أكبركم يكون خادماً لكم» .

هذا هو الأساس الصحيح للتربية المسيحية : انتقال روح السلوك الكامل من المعلم إلى تلاميذه بالقدوة والمثال الذى يقدمه نموذجاً لهم فيتبعونه : «تمثلوا بى كما أنا بالمسيح» . ولقد أكدت مدرسة الاسكندرية هذا الاتجاه فقد تميز طلابها بفضائلهم الروحية إذ كان أساتذتهم العلماء خبر قدوة لهم بسلوكهم المسيحى الممتاز .

هذا اللون من التربية كان مقترناً أيضاً بتعليم الحق فاستحق معلمو الكنيسة أن يطلق عليهم لقب العظماء «لأن من عمل وعلم يدعى عظيماً فى ملكوت السموات» (مت ٥ : ١٩) .

والتعليم عنصر هام من عناصر خدمة الأب الأسقف ، والأب الكاهن . فمن أهم الشروط الواجب توفرها فى الكاهن «أن يكون صالحاً للتعليم» . ومن قوانين الكنيسة [أن الأسقف الذى يرضى بقلة العلم ليس أسقفاً] (٥) بل إن هذه القوانين تؤكد على الأسقف «أن كل ما يعمله يجب أن يكون قد فعله أى اختبره قبل أن يعلمه لكى يعرف ما يقوله بكل استقصاء لأنه إذا كان يعرف ما يقوله فالذين يسمعون يعرفون ما يقوله (٦)» . وما ينطبق على الأسقف فى هذا الموضوع ينطبق بدوره على الكاهن والشماس . ولكن التعليم هنا ليس هو ذلك النوع من التعليم الذى يؤدى بحكم العادة بلا هدف . وإنما هو التعليم الموجه ، التعليم الذى مَن يسمعه يشعر بأنه شرب من «الماء الحى» واستنار «بالنور الحقيقى» . فهو وسيلة من وسائل الخلاص وربط النفوس ببارئها الحقيقى رب المجد يسوع الذى قيل عنه : «إنه كعادته كان يعلم» ، وإنه «جال اليهودية يعلم فى مجامعهم ، و يكرز ببشارة الملكوت ، و يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب» (مت ٤ : ٢٣) ، وحين كان الناس يسمعون تعاليمه كانوا يبهتون لأنه «كان يعلمهم بسلطان وليس كالكتبة» (متى ٧ : ٢٨) .

وهذه النعمة ـ نعمة السلطان فى التعليم ـ قد أعطيت لتلاميذ رب المجد وخلفائهم «وأعطيكم فماً وحكمة حتى لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها (٧)» (راجع متى

٥ ـ المجموع الصفوى ص ٤٥ ـ (الباب الخامس) .

٦ ـ المرجع نفسه .

٧ ـ المجموع الصفوى ص ٤٥ ـ (الباب الخامس) .

١٠ ؛ أع ١ : ٨) .

وإذن فالتربية الروحية : المثال والقدوة ، تقترن فى الكنيسة بالتعليم المحيى المجدد الصادر عن عمل روح الله فى حياة المعلم . ولعل أروع مثال لهذه الحقيقة ما سجله كاتب سفر الأعمال عن القديس بولس فى وداعه لكنيسة أفسس ـ رعاة وشعباً ـ حين قال « ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد ... فى كل شىء أريتكم أنه هكذا ينبغى أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٣١ ، ٣٥) .

وهكذا تقترن التربية المسيحية الصحيحة بالتعليم النقى الذى لا يفتر فى سبيل تحقيق الغاية الحقيقية من رسالة المسيح له المجد .

لماذا قامت خدمة التربية الكنسية ؟

فى القرن التاسع عشر ، أحيا البابا كيرلس الرابع (١٨٥٤ - ١٨٦١) هذا التقليد حين أنشأ مدارسه المعروفة بالأزبكية وحارة السقائين ، وأخذ يعلم بها ، إلى جانب اللغات والرياضيات ، طقوس الكنيسة ، وألحانها ، وفصول الكتاب المقدس ، والمزامير ، بل أنه زاد على ذلك بأن خصص أباً كاهناً حكيماً لتوجيه التلاميذ توجيهاً روحياً . وكان هذا الراعى العظيم المحب للعلم ينزل بنفسه إلى الفصول يزور التلاميذ ، ويستمع إلى المدرسين . ثم يحييهم فى نهاية الدرس قائلاً فى حماس عبارته المشهورة : [لقد استفدت معكم اليوم شيئاً جديداً] !!

على هذا المثال سار تلاميذ كيرلس ممن أنشأوا المجلس الملى سنة ١٨٨٠ فاهتموا بإنشاء المدارس إلى جانب إهتمامهم بإنشاء الكنائس . وما لبثت الكنائس والمدارس أن ملأت مديريات القطر ، قراها ومراكزها ، ومن المدرسة القبطية الكبرى بالأزبكية ، انبثقت فكرة تخصص بعض الطلاب فى الدراسات الدينية التى تولاها القمص فيلوثاؤس إبراهيم فى أواخر القرن التاسع عشر ، وكان من أنبغ تلاميذ هذا المعلم الأرشيدياكون الأستاذ حبيب جرجس ، فعلى يديه اكتملت جهود البابوات كيرلس الرابع ، وكيرلس الخامس ، والقمص فيلوثاؤس فى الاهتمام بالتعليم الدينى إذ

ظهرت فى فاتحة القرن العشرين ـ بعد غيبة خمسة عشر قرناً ـ المدرسة الاكليريكية وأخذ إعداد الرعاة والمعلمين فى الكنيسة القبطية فى الأزمنة الحديثة يأخذ شكله النظامى: من حيث توفر المدرسين، واستيعاب المناهج لكل ما يلزم الراعى والكاهن والواعظ والمعلم بعد أن كان عمل الرعاية ينتقل ـ فى أغلب الأحيان ـ بالوراثة حتى ولو لم تتوفر الشروط المطلوبة فى المتقدم له.

ومن الاكليريكية خرجت دعوة أخرى إلى تقديس يوم الرب، والاهتمام بالذهاب إلى الكنيسة: لكن الدعوة هذه المرة كانت موجهة إلى الأطفال والصبيان والشباب وكان ذلك نحو سنة ١٩٢٥م. وكان صاحب هذا الصوت هو نفسه ناظر المدرسة اللاهوتية، وكان صحبه ومعاونوه فى القيام على هذه الرسالة الجديدة ـ القديمة فى الوقت نفسه ـ هم من زملائه فى المدرسة الاكليريكية.

كان ذلك بعد أجيال طويلة عاشتها الكنيسة فى ظروف غير طبيعية بلغت أقصاها من العنف والقسوة، مما أدى إلى قلة عدد الكنائس، خاصة بالمدن الكبرى، وضعف الرعاية، فضلاً عن تمكن الشيع الأجنبية، الكاثوليكية والبروتستانتية بمذاهبها الغريبة المتعددة، من النفاذ إلى أبناء الأرثوذكسية بمصر وتأثيرها عليهم عن طريق الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية المختلفة. فكان لا بد من قيام الكنيسة بجهد مقابل لحفظ عقيدة أبنائها كان من نتيجته حفظ وطنيتهم أيضاً من تأثيرات الاستعمار. وقد شهد مؤرخو التربية فى الأزمنة الحديثة عن نجاح البابا كيرلس الرابع فى تثبيت وطنية المصريين، فيقول أحد المؤرخين: [إن مدارس البابا كيرلس الرابع كانت مركزاً لحفظ القومية المصرية ـ قومية أهل البلاد ـ فى اواسط القرن التاسع عشر إزاء الكلية البروتستانتية التى أنشأها الأمريكان بأسيوط (٨)] ذلك أن المدارس القبطية لم تفرق فى قبول تلاميذها بين الأجناس أو الأديان بل كانت تقبل كل المتقدمين إليها بل وتوزع عليهم الأدوات والملابس مجاناً!! فكان ذلك بحق مرحلة تحول خطيرة فى تاريخ البلاد الثقافى خاصة إذا علمنا أن البابا كيرلس كان أول من فتح باب التعليم العام أمام البنت المصرية ـ قبطية ومسلمة بلا تفرقة ـ مما كان له أخطر الأثر وأعظم النتائج فى تقدم البلاد ورقيها.

---

٨ ـ دكتور أحمد عزت عبد الكريم ـ « تاريخ التعليم منذ نهاية عصر محمد على » ص ١٣٩.

نقول إن الظروف التاريخية القاسية التى مرت بها البلاد عموماً ، والكنيسة بوجه خاص ، طوال العصور الوسطى ، إلى جانب نفاذ الشيع الاجنبية عن طريق الخدمات الاجتماعية المختلفة ، هذه كلها أدت إلى انتشار الجهل ، بما يحمل من مضاعفات وبيلة .

وجاءت حركة البابا كيرلس الرابع فكانت فجراً جديداً بزغ على الأمة ، وما لبثت حركته أن أثمرت فى فاتحة القرن العشرين حين زادت المدارس ، ولقى التعليم الدينى ما هو جدير به من أهتمام ، وأصبح لدرس الدين نصيب فى جدول الدراسة بالمدارس الحديثة التى بدىء فى إنشائها على يدى على مبارك باشا فى عهد إسماعيل .

وبدأت مدارس الأحد بالكنيسة البطريركية ، وبعض كنائس القاهرة : تعلم الأطفال والصبيان والبنات عن وجوب تقديس يوم الرب ، وضرورة حضور القداس ، ودراسة عقيدة الكنيسة **كوسيلة لتكوين الحياة الروحية السليمة داخل الكنيسة لا خارجها** .

وكان طبيعياً أن تنمو هذه الخدمة وتزدهر انتشاراً فلم يكد يمر ثلث قرن حتى كانت رسالة مدارس الأحد ـ أو التربية الكنسية ـ كما سميت فيما بعد تشكل عنصراً هاماً من عناصر الخدمة بكل كنيسة . ومما زاد فى قيمتها وأهميتها تقصير الأسرة والكنيسة والمدرسة فى رعاية أبنائها الرعاية الدينية الكافية .

والآن بعد مضى أكثر من ٥٠ عاماً على بدء هذه الخدمة العظيمة لا بد من وقفة عندها لتقويمها ومراجعتها ، وإعادة النظر فيها فى ضوء أهدافها وغاياتها الأولى . لقد نجحت التربية الكنسية حتى الآن فى تكوين وعى روحى أرثوذكسى ، فى المدن والقرى ، وفى إعداد عدد من المكرسين للاكليريكية والدير والكهنوت ، وبواسطة هؤلاء وأمثالهم صدر عدد لا بأس به من المؤلفات والأبحاث الدينية والتاريخية القيمة ، وهذا كله يؤكد ضرورة إعادة تقويم هذه الرسالة الخطيرة حتى تتابع عملها الهام فى الكرازة والخدمة .

لقد أصبحت التربية الكنسية الآن جزءاً من كيان الكنيسة ، ووسيلة هامة من وسائل نشر رسالتها وتعاليمها . أصبحت تشكل وسطاً من أوساطها التربوية التى

يتكون بها الخدام، الذين يقدمون بدورهم تعاليم الكتاب المقدس، وأسس الحياة الأرثوذكسية للنشء، وللأسرة، والشباب فى مختلف مراحله.

وليس هذا الكتاب - بصورته هذه - مجالاً لتقويم هذه الرسالة، أو مراجعتها إذ أن هذه الدراسة يجب أن تكون موضوع كتاب آخر مستقل، ولكننا ونحن ندرس أصول التربية المسيحية، نرى أنه من الضرورى توضيح بعض الاتجاهات والمبادىء التى يجب على ضوئها أن يعيد الخدام النظر فى توحيد أسس التربية الكنسية بحيث تحقق أرثوذكسية التعليم وأرثوذكسية السيرة معاً.

هـذه المبـادىء :

أولاً - إن الدين لا يعلم وإنما الدين حياة واختبار. فإذا أردنا أن تتحقق أهداف التربية الروحية وجب علينا كخدام أن نعود إلى الوضع المسيحى الأصيل، وقد سبق أن شرحناه فى مقدمة هذا الفصل. أن نختبر بأنفسنا حياة المسيح فينا، ونتذوق من ثمارها فى واقع سلوكنا وتصرفاتنا، حتى إذا علمنا تلاميذنا، لا يأتى تعليمنا جافاً قاحلاً وإنما يأتى عن اقتناع وفهم وإيمان. فرسالة التربية الروحية هى المعلم بذاته: المعلم فى حياته، فى أقواله، فى تصرفاته، فى سلوكه، فى قدوته، فى مثاله الذى يراه تلاميذه فيحبون المسيح فى شخصه، ويتبعونه. وإنه الخير كل الخير لمن يتولى مسئولية التعليم إذا رأى نفسه ضعيفاً فاتراً عاجزاً عن تقديم حياته كنموذج للمسيحى الحقيقى أن يعتكف متأملاً ذاته مراجعاً تصرفاته صائماً عابداً حتى يعود إلى سابق نشاطه وغيرته. يقول صاحب الرؤيا: «قد احتملت ولك صبر وتعبت من أجل إسمى ولم تكل لكن عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى» (رؤ ٢ : ٣، ٤).

ثانياً - إذا كانت الخدمة الناجحة هى ثمرة حياة الخادم واختباره للمسيح عن قرب، فمعنى ذلك أن ذاتية الخادم لا وجود لها وإنما العمل كله يقوم به روح الله نفسه، وإذا كان تعليم القديس بولس للمؤمنين «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ» فبالأولى يوجه هذا التعليم للخدام «انهم ماتوا عن ذواتهم، وحياتهم مستترة فى المسيح» فتعليمهم وخدمتهم ليست «بكلام الحكمة الإنسانية المقنع» ولكن «ببرهان الروح والقوة». وكل خدمة تختفى وراءها أغراض غريبة: كحب

الظهور، أو طلب المجد الباطل، أو حب الاجتماع بالناس، إلى آخر هذه الأفكار. هي خدمة باطلة لا ثمر فيها ولا حياة من ورائها.

ثالثاً ـ يجب أن ترتبط تربيتنا الروحية بمشكلاتنا وواقع حياتنا داخل بيئاتنا المختلفة التي نعيش فيها. إن تعليمنا عن الصوم مثلاً يجب أن يرتبط بدراسة الظروف المختلفة التي نعيشها **حتى لا تكون هناك هوة بين الكلام النظري والتطبيق العملي**. وهنا تأتي قيمة الحياة الدينية ذاتها. فيمكن للخدام أن يخصصوا مع تلاميذهم ـ خاصة من الشباب ـ أياماً معينة، ولا سيما في العطلات المدرسية ـ للصوم والصلاة معاً، حتى يذوقوا بأنفسهم بالخبرة الفعلية ثمار الحياة الروحية. **إننا نريد التربية الروحية أن تكون هي بذاتها الخبرة الحية لا أن تقتصر على مجرد التعليم ووسائل تحصيلها**، فحسناً أن تعلم عن الصلاة والصوم ولكن سيظل التعليم قاصراً ما لم تختبر فعل الصلاة وقوة الصوم. فلو أمكنك تهيئة الفرصة لتلاميذك ليحيوا بأنفسهم هذا الاختبار تكون **قد انتقلت بهم من مجرد التعليم إلى الحياة نفسها** وهذا هو المطلوب. ولعل في ذلك تأكيداً لقيمة الرحلات والمعسكرات والنوادي التي نحيا فيها مع تلاميذنا فترات طويلة من الزمن هي في الواقع بمثابة مواقف تربوية يتفاعلون فيها عملياً مع مجال جديد يمكنهم فيه تطبيق مبادىء الحياة المسيحية، ويرون في أثنائها نماذج مختلفة للمسيحية العملية من خلال تصرفات الجماعة وتجاوب أفرادها بعضهم مع البعض الآخر.

فقد تمر الجماعة في هذه المجالات بمواقف إنفعالية فيها الخوف والغضب واختلاف الرأي، فتكون الفرصة متاحة لاختبار مواقف الحياة على طبيعتها. وفي المجالات الرياضية يمر الشاب بمواقف الانتصار والهزيمة والأمل واليأس والهدوء والعنف والاتفاق والاختلاف: وهذه هي الحياة نفسها، فإذا خرج إليها أولادنا وشبابنا كانوا مزودين بالخبرات الكامنة تؤهلهم للتكيف الاجتماعي المرغوب فيه **وإنما ميزة هذا التكيف أنه يقوم على أسس روحية**.

رابعاً ـ إن الجو الروحي بأسرة التربية الكنسية هو مجموعة العلاقات القائمة بين مختلف وحداته: الأب الكاهن ـ الخدام ـ الأولاد ـ فإذا كانت محصلة هذه العلاقات زيادة رابطة المحبة بين هذه الوحدات: **بين الأب الكاهن كأب**، والخدام كأبناء،

والأولاد كحملان المسيح الأطهار، فمعنى ذلك أن التربية الروحية تحققت بأعظم وسائلها فاعلية وهي المحبة. وروح المحبة إذا كانت سائدة حقيقة بين الأب الكاهن والخدام، وبين الخدام بعضهم وبعض لكفت بقدوتها الصامتة فى تدعيم المبادىء الروحية. لكننا نعيش فى كنيسة، وهى إلى حد كبير ـ أحد أشكال المجتمعات، ونحن قابلون للخطأ، وقد نختلف معاً فى الرأى، لكن كلما كانت أواصر المحبة قوية، وكلما انتفت عن أغراضنا المصالح الشخصية، انحصرت نتائج هذا الاختلاف فى أضيق حدودها، بل لا نكون مغالين إذا قلنا إن توفر المحبة والغيرة الروحية الحقة كفيل بتحويل كل خلاف فى الرأى إلى خير يعم الخدمة ويدفع بها إلى التقدم وزيادة النمو. وبذلك تضيف خبرة الاختلاف فى الرأى لوناً جديداً من ألوان الحياة التى تظهر فيها ثمار حياتنا مع الله. ومن المهم أن تنجح الكنيسة ومدارس التربية الكنسية فى تكوين العلاقات الودية مع الهيئات والجمعيات المحيطة وإقامة خدمات التعليم والتربية الروحية بها.

خامساً ـ إن نقطة البدء فى مناهج التربية الكنسية يجب أن تراعى خصائص نمو الأطفال فى مراحل عمرهم المختلفة، أما نقطة النهاية فهى توصيلهم إلى الحياة الفضلى، وربطهم ربطاً فعلياً على أسس سليمة بوسائط النعمة. وإذن فللمناهج أسس معينة تجب مراعاتها: من حيث خصائص النمو، وغايات التربية الروحية، وحاجات المجتمع العام الذى نعيش فيه، ومجتمع الكنيسة الذى تنتمى إليه. فدروس المرحلة الابتدائية تختلف ولا شك عن دروس المرحلة الاعدادية عن دروس الشباب، عن دروس العمال، ودروس القرية، ونقصد بالاختلاف هنا اختلاف العرض ووسائط الربط بمشكلات التلاميذ وإن توافرت الوحدة فى الغاية. على أن المناهج فى حد ذاتها تأتى فى الدرجة الثانية من الأهمية بالنسبة لما يمكن أن يقوم من علاقات خاصة بين المعلم وتلاميذه فى افتقاده لهم، وسؤاله عنهم، ومعاونته لهم فى مشكلاتهم وإشعارهم بأنهم ينتمون إلى جماعة ترعاهم وتحنو عليهم وتنفعل لمسراتهم وآلامهم وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم فهنا تحقيق وإشباع للحاجات النفسية الطبيعية فيهم: كالحاجة إلى العطف، والانتماء والتقدير. والاشباع بهذه الوسائل هو فى حد ذاته تربية مستنيرة قائمة على استغلال دوافع طبيعية فى تنمية شخصيات التلاميذ نمواً سوياً متكاملاً وقد

رأينا فى بيوت الشباب التى أنشأتها بعض الكنائس والهيئات وسيلة عملاقة فى جذب الشباب الجامعى إلى الحياة مع الله، فقيام الأب الراعى على خدمتهم ورعايتهم بركة كبرى لحياتهم ومستقبلهم.

سادساً - إن نجاح الكنيسة والتربية الكنسية فى ضم الأسرة إلى قافلة النعمة وموكب الخلاص هو ولا شك كسب كبير لرسالة التربية الروحية. فالأسرة هى البيئة الاجتماعية التى يحيا فيها الفرد أطول فترة من حياته اليومية، خاصة فى العطلات المدرسية، فإذا اقتنعت الأسرة بقيمة المبادىء الدينية التى تعلم بها الكنيسة ومدارس الأحد، ساعدت من جانبها على نمو أبنائها روحياً، وهيأت لهم مجالات هذا النمو: بأن تسمح لهم بالذهاب إلى القداس، وحضور دروس الأحد، والاشتراك فى نواحى النشاط المختلفة التى تهيئها الكنيسة لهم: كالرحلات والنوادى والمعسكرات وغيرها. ومن يدرى؟ فربما كان الأولاد بركة لوالديهم فيجذبونهم إلى ممارسة شعائر العبادة، وتذوق ثمار حياة السلام والحب، وتهيئة جو الصلاة والصوم بالمنزل، بل والمساهمة مادياً فى خدمات الكنيسة. وهنا تظهر القيمة الكبرى لتعاون الأب الكاهن مع أبنائه الخدام فى السعى الجاد المنظم على إنجاح مشروع العضوية الكنسية وربط الأسرة بالكنيسة برابطة المحبة والخدمة على أساس من البذل والتضحية، والمساهمة الفعلية فى مواجهة مشكلاتها. وإنما نحب أن نلفت النظر هنا **أن نقطة البدء فى هذا الموضوع من الخدمة ليس هو مساعدات اجتماعية تقدم وإنما خدمة روحية تستهدف أولاً خلاص النفوس وقيادتها إلى الحياة الروحية الصحيحة**. أما الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية فهى أمور جانبية بالنسبة للهدف الكبير وهو خلاص النفس. ولعل فى هذا الاختلاف بين هذين النوعين من الخدمة يكمن الفارق الكبير بين تعليم الكنيسة الأرثوذكسية، وجهود الشيع الأجنبية الغريبة التى جاءت بمدارسها ومستشفياتها وملاجئها تغزو قلوب المصريين، أقباطاً ومسلمين، لتحولهم إلى عقائدها بصرف النظر عن الغاية السليمة للخدمة. لقد كان هم هذه الشيع كسب أكبر عدد ممكن بصرف النظر عن الكيف أو نوع الخدمة المقدم لهم مما يقطع بأهدافهم الاستعمارية لأنهم لو تمسكوا بصورة التعليم الصحيح لما خالفوا وصية القديس بولس الذى كان حريصاً فى ألا يبنى على «أساس بداه آخر» !!

سابعاً ـ إننا لا ننتظر من تلاميذ وشباب التربية الكنسية جميعاً أن يصبحوا خداماً أو وعاظاً أو معلمين فلكل واحد وزنته : واحد قد أعطى وزنة ، وآخر وزنتان ، وثالث خمس وزنات : ولذلك يجب أن تتنوع مناهج التربية الروحية بحيث تمس كل نواحى الخبرة (١) فيتفاعل شبابنا معها : كل حسب مواهبه . والكنيسة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ كالجسد ذى الأعضاء المختلفة تحتاج إلى المكرسين ، وتحتاج إلى الذين يكونون لنا أسرات مسيحية ينشأ فيها أطفالهم فى جو نقى : وهذه إحدى غايات التربية الروحية كما عبر عنها أحد علمائها بقوله : [إن الغاية من التربية استمرار التربية] إذ ليس أدل على نجاح رسالة الكنيسة من أن تصبح كل أسرة كنيسة .

أما المواهب الأخرى فهى متعددة متباينة : مواهب فنية ، وتعليمية ، مواهب فى الوعظ والافتقاد ، مواهب فى التدبير والإدارة ، مواهب تشمل الوقت والمال ... هذه كلها تحتاجها الكنيسة ويحتاجها المجتمع فإذا نجحت التربية الروحية فى تقديس هذه المواهب والأخذ منها بنصيب فى خدمة رسالة الخلاص عن طواعية وحب واختيار ، لكن فى ذلك أعظم آيات النجاح .

أما المكرَّسون فالأمر يختلف بالنسبة لهم : فالكنيسة أيضاً فى أشد الحاجة إليهم بشرط أن يأتى تكريسهم عن شعور باطنى عميق يتأكدون من خلاله بدعوة الله لهم حتى ليستغرقهم هذا الشعور ويملك عليهم وجدانهم وأشواقهم ، على أن الكنيسة ممثلة فى الآباء الروحيين المرشدين ، قد أعتادت أن تتأنى فى تلبية طلب أمثال هؤلاء حتى يبلغوا سن النضج من ناحية ، وحتى تتأكد من ناحية أخرى من صدق حماسهم ونضج عواطفهم ومشاعرهم .

على أن التربية الكنسية بوضعها الحاضر تحتاج إلى إعمال الفكر فى بعض المشكلات الجديدة ومنها :

١ ـ مشكلة التقويم : تقويم الخدمة من حيث نوع الخدمات التى تقدم للشباب والصبيان والأطفال ، وعلى مدى نجاحها فى تحقيق الغايات الروحية المطلوبة من ناحية ، وفى جذب النفوس البعيدة إلى الخلاص وحياة الفضيلة من ناحية أخرى .

---

١ ـ راجع الأسس الروحية والقومية والاجتماعية لمنهج مدارس التربية الكنسية الجزء الخاص بضرورة تناسب المنهج مع القامات الروحية التى يمر بها الطفل .

ب ـ **مشكلة المناهج** : ومدى ملاءمتها لطبيعة وخصائص مراحل النمو التى يمر بها الأولاد، ثم مدى ترابطها وتكاملها، وتغطيتها لحاجات التلاميذ مواجهتها لمشكلاتهم فى المدينة وفى الريف.

جـ ـ **مشكلة خدمة الشباب** : وتصنيف نواحى النشاط الخاصة بهم، ووسائل الاعداد لعمل النادى والمعسكر، وتكوين المكتبة المناسبة لهم، وتبصيرهم بالاتجاهات المسيحية إزاء وسائل الاعلام الحديثة وتطور المجتمع إلى صورته الحالية.

د ـ **مشكلة الاتصال** : بنواحى الخدمة العامة فى المجتمع الخارجى، وتكوين العلاقات مع الهيئات والجمعيات الموجودة فى البيئة المحيطة للتعاون فى المشروعات القومية لمحو الأمية مثلاً، أو الخدمات الصحية وغيرها مما يحتاجها مجتمعنا فى مرحلة تطوره الحالية.

هـ ـ **مشكلة اعداد الخدام** : وطرق الاعداد النظرية والعملية الكفيلة بتحقيق هذا الاعداد فى أكمل صورة ممكنة.

و ـ مشكلة التجريب ودراسة الطرق الخاصة بتدريس مناهج المراحل المختلفة وتسجيل النتائج فى ضوء ما استخدم من طرق التدريس ومعيناته.

إننا فى حاجة إلى تفتيح أبواب البحث فى وسائل الخدمة الروحية على الأسس العلمية والتجريبية والاحصائية حتى يكون تقدمنا ظاهراً فى كل شىء كقول القديس بولس.

وعدا هذه المشكلات الكبرى هناك إجتماعات الخدام وبرامجها، وهى على ما نعلم فى أشد الحاجة إلى الدراسة والمراجعة بل والتطوير أيضاً بما يتلاءم مع ظروف مجتمعنا وكنيستنا، ووسائل الافتقاد، وعوامل تنشيط إجتماعات الشباب، ودرس الكتاب المقدس، والمسابقات المرتبطة به، والجوائز التى ترصد لها، من حيث نوعها، وتوقيت توزيعها ـ هذه وغيرها تحتاج إلى إعادة الدراسة والتأمل فى ضوء خبرات الأربعين سنة الأخيرة على وجه خاص لأنها الفترة التى عاصرت قيام عدد كبير من قادة الخدمة الموجودين حالياً. إن الأمر الذى يسترعى الانتباه انه رغم وحدة الغايات والأهداف فقد تعددت الاتجاهات فى التربية الكنسية مما يحتم ـ كما قلنا ـ ضرورة إعادة النظر.

ولعل الوقت قد آن لهذا الواجب الخطير حتى تستقيم الخدمة، وتتصل عناصرها من جديد، وتتوحد أفكار القائمين عليها فى فلسفة مشتركة تقوم على الأسس الروحية والتربوية الصحيحة.

المسيح المربى

كان الناس يدعونه دائماً بقولهم « يا معلم » ، ووصفه كاتبو الأناجيل بأنه كان دائماً «يعلم» ، وحتى المتربصون به من الفريسيين والناموسيين والصدوقيين اعترفوا انه « كان يتكلم بالاستقامة ، وبالحق يعلم طريق الله » (راجع مر ٢ : ١٣ ؛ يو ١٠ : ٢٥ ؛ ١٣ : ١٠ ؛ ٢٠ : ١ ، ٢٠).

واقترنت رسالته فى التعليم برسالة الافتقاد والكرازة والشفاء . يقول القديس متى الإنجيلى: «وكان يسوع يطوف كل الجليل، يعلم فى مجامعهم. ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب» (مت ٤ : ٢٣).

ولكى تمتد رسالته من بعد صعوده المجد إلى السماء اختار رسله وتلاميذه، ليسلمهم تعاليمه، ويعلمهم أسرار ملكوت السموات، ويذكر القديس مرقس أنه بدون مثل لم يكن يكلم الجموع. أما بالنسبة لتلاميذه فكان على انفراد يفسر لهم كل شىء (مر ٣ : ٣٣ ، ٣٤).

والتعليم الذى علّم به رب المجد كان تعليماً جديداً يتصل باتحاد إنسان الله الكامل وتكوينه وتدريبه على الفضيلة. وعلى الدخول من الباب الضيق ليرتقى منه إلى الملكوت. فمن قبل مجيئه مر الإنسان بمرحلة الوثنية، ثم بمرحلة الناموس الفردى (أى الضمير)، فمرحلة الناموس الموسوى أو شريعة العهد القديم، إلى أن جاء «ملء الزمان» فتجسد الابن الكلمة ليبذل ذاته من أجل خلاص الإنسان حتى يعيده إلى الصورة الإلهية التى كان عليها قبل الخطيئة فكان ذلك بشيراً ببدء عصر النعمة. وكما أن فى آدم مات الجميع. فكذلك فى المسيح يحيا الجميع. وإذا كانت خطيئة آدم قد سادت الإنسان العتيق فإن الإنسان الجديد قد تبرر بموت المسيح وأصبح جديداً بصورة الحق والقداسة.

هذه الصورة الجديدة هى التى جاء المسيح نموذجاً لها . فالمسيح إذن كمرب قدم نفسه أولاً كمثال للكمال حتى أنه قال مرة : « مَنْ منكم يبكتنى على خطيئة » وهى كلمة لم يقلها أحد غيره إذ ليس أحد صالحاً سواه لأنه الله الظاهر فى الجسد .

وبهذه الصورة أوضح للناس - وبشكل عملى - أن فى الإمكان تحقيق وصاياه وممارسة أعماله ، بل وأكثر منها حسب قوله الإلهى : « مَنْ آمن بى يعمل الأعمال التى أعملها وأعظم منها » .

وكان لتعليم المسيح غاياته ووسائله . أما غايته الأساسية فهى إعادة الإنسان إلى حالة البر التى خُلق عليها ، أى أن يعود إلى صورتة الكاملة ولذلك دعانا قائلاً فى وضوح وصراحة : « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » ، وأكد تعليمه بالكثير من المطالب الموجهة كأن نكون نوراً للآخرين بأعمالنا ، وملحاً للأرض ، وبالأكثر لنصير شركاء فى طبيعته الإلهية نعيش به وله .

أما وسائله فقد تعددت ولكن يأتى فى مقدمتها عمل النعمة الداخلى فى تغيير الطبيعة الإنسانية ونقلها عن صورتها الأرضية إلى صورة الله ومثاله . وقد عبر القديس بولس عن هذه الفاعلية الداخلية بقوله : « أنا ما أنا ولكن نعمة الله التى معى » ، « أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى » . وفى كل مراحل تاريخ الكنيسة - منذ صعوده له المجد - كان عمل روح الله فى المؤمنين هو سلاحهم الذى واجهوا به الاضطهادات « فلم يقدر جميع معانديهم أن يقاوموهم » وهو الذى عملوا به المعجزات ، وغيّروا القلوب ، ونقلوا مشاعر الناس ومفاهيمهم وعواطفهم وقيمهم ومثلهم من المستوى الإنسانى إلى المستوى الإلهى .

وكانت شريعة النعمة التى وضعها رب المجد قانوناً جديداً بموجهات للسلوك جديدة . والذى يقرأ عظته على الجبل بفهم يرى أنها وضعت قيماً جديدة ومفاهيم جديدة . وبعد أن كان العقل والناموس هما فقط الموجهان للسلوك أصبحت الآن - إلى جانبهما - شريعة النعمة والمحبة والكمال .. ولقد مست هذه القيم والمفاهيم الجديدة الدوافع الفطرية فى الصميم فارتقت بتأثيرها وعلت بطبيعتها .

فالمسيح إذن كمرب ، وكواضع للشريعة الجديدة - شريعة عهد النعمة - لم يقتصر

على أن ينهى عن ارتكاب الرذائل، لأن هذا هو الجانب السلبى، وإنما وضع أسساً جديدة للسلوك الايجابى فى استهداف الفضائل الإلهية، والعمل على الوصول إليها عن إرادة ومحبة فنحن نحبه لأنه أحبنا أولاً، ونحن نحفظ وصاياه لأننا نحبه عن إرادة ووعى ومما أكد هذا الاتجاه الجديد تلك التطويبات الثمانية المعروفة التى افتتح بها عظته الخالدة على الجبل، فكلها توجيهات إيجابية للحياة الكاملة والسلوك الجديد.

وكان السيد المسيح يستخدم فى تعليمه طريقة الأمثال: فأمثال توضح معنى الكرازة، بالملكوت الجديد (راجع مت ١٣)، وأمثال أخرى للتوبة، وأخرى عن الدينونة، وعن الإحسان والصلاة وإنكار الذات... إلخ.

وكانت الأمثال مشتقة من واقع بيئة الناس، وصميم خبراتهم العملية، وحمل كل مثل، فى مادته البسيطة الواضحة المتصلة بالمحسوسات، أفكار ومعانى روحية عالية، ولعل مثل الزارع من أقوى الأدلة على ذلك، وكذلك مثل العذارى.

فالخادم إذن لكى يكون معلماً وكارزاً بالحياة الجديدة يجب أن يعيشها أولاً، وأن يختبرها لكى إذا حدّث الناس بها حدثهم عن إيمان وثقة، كذلك فعل القديس يوحنا الحبيب الذى قال لشعبه فى رسالته الأولى إليهم: «الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه، الذى لمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة... الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى تكون لكم شركة معنا... أما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١: ١- ٣).

المعلم الكنسى (١٠)

واجباته والشروط الواجب توافرها فيه

مسئولية التعليم فى الكنيسة تقع على عاتق الأسقف، والقس، والشماس. وإذا كان المدرس فى التعليم العام يجب أن تتوافر فيه شروط كثيرة منها أن يكون مؤمناً

---

١٠ ـ راجع مقالات الشموسية ـ مجلة مرقس سنة ١٩٧٠ ففيها توجيه كنسى سليم للخادم.

برسالته، متحمساً لأدائها، مقدراً لمسئوليته، مقتنعاً بقيمتها وأهدافها وأن يكون قدوة ومثالاً لتلاميذه يعرف كيف ينزل إلى مستواهم، و ينفعل لمشكلاتهم، ويجد فى طلب الحلول المناسبة لها. وأن يرى فى تلاميذه صورة جيل الغد الذى سيتحمل مسئولية النهوض بالبلاد. فلا يؤخر عنهم شيئاً عن الفوائد. وإلى جانب هذا كله أن يكون مركزاً للعلاقات الإنسانية بينه وبين رؤسائه، وبينه وبين تلاميذه وأولياء أمورهم، فيكون لهم الرائد والموجّه، والأداة الهامة فى تطور البلاد.

نقول إذا كانت هذه هى الشروط الواجب توافرها فى المدرس العادى، فكم بالحرى بالنسبة للمعلم الكنسى الذى توكل إليه مهمة خلاص النفوس وقيادتها إلى الملكوت. لذلك وضعت الكنيسة عدة شروط أساسية اشترطت توافرها فيمن يعهد إليه بمسئولية التعليم.

ونلخص هذه الشروط فيما يلى :

١ ـ شرط السن : فالشماس يجب ألاَّ يقل سنة عن ٢٥ عاماً، والقس عن ثلاثين عاماً، أما الأسقف فيكون فى أواسط العمر بين الأربعين والخمسين. والحكمة فى هذا الشرط واضحة: أن يكون المعلم الكنسى قد نضج وعيه، واكتملت خبرته. لكن الكنيسة مع ذلك لا تمانع أن يكون أصغر من السن المقرر إذا ظهرت فى سلوكه حكمة الشيوخ وأمانة القديسين.

٢ ـ وتشترط الكنيسة ألاَّ يقام بعجلة، وأن يمر بمرحلة تلمذة وإعداد يختبر خلالها اختباراً دقيقاً، فإذا ثبت أنه بلا لوم ـ على حد تعبير القديس بولس ـ (راجع الرسالة الأولى إلى تيموثاوس فصل ٣: ١١) وانه قد وصل إلى النضج المطلوب عهد إليه بمسئولية الخدمة والتعليم.

٣ ـ وتدقق الكنيسة فى أن يكون خادمها طاهراً نقياً لا يشارك فى الكلام الباطل الدنس وأن يكون مدققاً فى سلوكه، ملاحظاً نفسه، قدوة فى الكلام والتصرف والإيمان.

٤ ـ وأن يكون قنوعاً متحرراً من الخرافات، قادراً على احتمال المشقات لا تتسلط عليه عادات حب المال أو الغضب أو الميل للخمر أو الهوى، وألاَّ يكون محابياً بالوجوه،

بل له من الشجاعة الأدبية ما يمكنه من التمسك بمبدئه. ويحتم هذا ألاَّ يكون حديث الإيمان لئلا يتصلف و يرتبك بخطيئة الغرور.

٥ ـ ولكى يكون ناجحاً فى رسالته كمعلم يجب أن يعكف على القراءة والدرس حتى يميز بين العلم الكاذب والعلم الحقيقى، وليكون دائماً مستعداً للرد على المنحرفين والضالين والمبتدعين.

٦ ـ وأن يكون مشهوداً له من الذين هم من خارج ، أى من غير المسيحيين، بالأمانة والعفة وحب السلام.

٧ ـ فإذا قُدِّمَ أسقف أو قس أو شماس وجب أن تقدم له شهادة بتزكيته ممن قدموه ليسام خادماً فى الكنيسة، وقد جرت العادة أن يسأل الأسقف مقدميه «أتشهدون أنه مستحق لهذه الرتبة بالحقيقة؟» وبالنسبة للأسقف يقوم الأب البطريرك بتوجيه هذا السؤال بقوله: «أهذا هو الذى ارتضيتموه أسقفاً؟» وتكون الإجابة: «نعم ـ مستحق».

راجع رسائل القديس بولس إلى تيموثاوس : الرسالة الأولى (فصول ٣، ٤، ٥، ٦) والرسالة الثانية (فصل ٢، ٣)، ورسالته إلى تيطس (فصل ٢)، وراجع أيضاً الدسقولية الباب الثالث، وكتاب «ترتيب قسمة رتب الكهنوت» ومصباح الظلمة والجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة.

ونلاحظ أن هذه الفصول تضمنت شروطاً روحية ، ونفسية ، واجتماعية ، وتربوية، مما يؤكد أن نجاح الكنيسة فى رسالتها التبشيرية والتعليمية ـ خاصة فى القرون الأولى ـ يرجع إلى الدقة فى تطبيق هذه الشروط ، فقد ورد عن استفانوس وهو أول شماس فى الكنيسة، أنه كان ممتلئاً من الإيمان والقوة، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب (أع ٦ : ٨)، وعن الشماس فيلبس انه بشر الخصى معلماً إياه عن تفسير نبوات إشعياء عن المسيح (أع ٨ : ٣٥). وهكذا عن آباء الكنيسة الأوائل وتلاميذهم.

وكان الشمامسة فى (١١) القرون الأولى يقومون بتعليم الموعوظين ، وافتقادهم

١١ ـ راجع مقالات الشموسية للمتنيح يسى عبد المسيح ـ مجلة مدارس الأحد سنة ١٩٥٥ .

وخدمة المعوزين، والأرامل، وكانوا يعتبرون من بين كهنة الكنيسة. على أن رتبة الشماس يعنى بها درجة دياكون، أما الأناغنوستيس (وهو القارىء) والايبدياكون (وهو مساعد الشماس)، فلم تكن لهم درجة الكهنوتية وإنما كانت رتبتهما مجرد رتبة للمعاونة فى الخدمة. وكانت للشماسة أيضاً مكانة هامة فى خدمة الكنيسة: خدمة الأرامل والموعوظات.

وكانت المدرسة اللاهوتية، والدار البطريركية، والدير مراكز اعداد الخدام وتلمذتهم، وقد وردت أمثلة كثيرة فى سير البطاركة، ومعلمى الكنيسة تبين كيف كان يتم اعدادهم ليقوموا برسالة الخدمة والتعليم (١٢).

وحاجة الكنيسة اليوم ماسة جداً إلى المعلم الذى تتوفر فيه هذه الشروط، والذى يقدم بسلوكه وحياته وتصرفاته المثال العملى للسلوك المسيحى الحقيقى. فنحن لا نرى المسيحية ولا نعرف الكنيسة إلاّ فى شخص الخادم: فى شخص الأسقف والكاهن والشماس. وقد وقف يوماً واعظ تقى قديس يلقى كلمة عزاء وإذا بطفل يسأل والده مشيراً إلى الواعظ «هو ده المسيح يا بابا؟» فقد رأى الطفل فى هذا الخادم صورة للتقوى والفضيلة فرأى فيه الصورة التى تكوّنت فى خاطره عن المسيح. فالخادم هو رسالة المسيح المقروءة، وهو رائحته الزكية، وهو علامة الطريق إلى الكمال، وسلاحه ليس كلام الحكمة الإنسانية المقنع، وإنما روح الله وعمله فى القلوب، فهو يزرع ويسقى ويهيىء التربة لكن الله هو الذى ينمى ويخلص. ومن أصدق الأدلة على صلاحية الخادم نجاحه فى حياته العائلية سواء أكان ابناً بين والديه أو أباً وزوجاً صاحب أسرة مسئولاً عن عائلته. فالخادم مسئول عن رعاية النفوس التى يتصل بها. وإذا كان الخادم يجد بعض الصعوبات فى حياته الأسرية لعدم تجاوب الأسرة مع نمط حياته فليس من علاج سوى التذرع بالصلاة وطلب المعونة الإلهية للتدخل وتوجيه الأسرة التى يحياها هو.

اعداد المعلم فى الوقت الحاضر:

إن مفهوم كلمة المعلم فى كتابنا هذا يقصد به المعلم فى الكنيسة: سواء كان

---

١٢ - سليمان نسيم - تاريخ التربية - الفصل الخاص باعداد المعلم.

كاهناً أو شماساً . و يفترض أن يكون خدام أسر مدارس التربية الكنسية قد حصلوا على إحدى درجات الشماسية ولو الأولى منها وهى الأغنسطس أو القارىء(١٣) . وكنا نرجو لو أن القائمين على التربية المسيحية بمدارسنا أن يكونوا حاصلين على هذه الرتبة أيضاً ، حتى يُطمأن إلى سلامة معتقدهم من ناحية ، وتدقيقهم فى السلوك والتصرف من ناحية أخرى . هذا إذا جاز أن الحاصلين على مثل هذه الرتبة يعطونها حقها من التقدير والوقار . وهذه مسألة تحتاج إلى نظر .

والحاصل الآن أن الكلية الاكليريكية بأقسامها المختلفة تقوم بمهمة إعداد المعلم الكنسى(١٤) ، وقبل التحاق الطلاب المستجدين بها تجرى لهم اختبارات شخصية ، كما تطالبهم بتقديم تزكية من الأب الأسقف أو الأب الراعى لتضمن حسن سلوكهم وسابق اتصالهم بحقل النشاط الدينى . أما فى التربية الكنيسة فالمسألة مختلفة : ففى بعض الفروع يختار الشباب المتقدم الذى أمضى بمدارس الأحد فترة تؤهله لحمل رسالة التعليم ، وفى البعض الآخر توجد فصول لإعداد الخدام ، فبعد أن يقع الاختيار على بعض الشباب المتقدم يلتحقون بهذا الفصل ليقضوا به فترة تدريب يتلقون خلالها دراسات خاصة ، و يقومون بالتمرين فى نواحى الخدمة المختلفة : فى الفصول ، والافتقاد ، واجتماعات الشباب ... إلخ .

أى أن إعداد الخدام ليست له سياسة واحدة فى الفروع المختلفة ونحن نرى أنه قد آن الوقت لدراسة هذه المشكلة ، خاصة فيما يتعلق بفصول البنات والشابات .

و يفترض فى الخادم - سواء كان إكليريكياً أم غير اكليريكى - أن يكون مقدراً لمسئوليته . حقيقة إنه ليس أسقفاً أو كاهناً ، ولكنه - أحياناً - يكون شماساً ، وقد أوكلت إليه رعاية عدد من الأطفال أو الصبيان أو الشباب ، فهو مسئول عن توجيههم إلى الحياة مع الله بقدوته ومحبته ورعايته لهم . على أن من الواجب عليه أن يبدأ بنفسه أولاً : فالأطفال أكثر قرباً إلى الله منه لطهارتهم وبراءتهم وبساطتهم فإذا أراد أن

---

١٣ - ذكر الأب متى المسكين فى بعض مقالاته بمجلة مرقس سنة ١٩٧٠ شرحاً طيباً للتوجيه الكنسى للخادم ، نرجو أن يطلع عليها كل مهتم بالتربية الكنسية .

١٤ - منذ أوائل الستينيات ، وبعد تولى نيافة الأنبا شنوده أسقفية التعليم سمح للفتاة أن تلتحق بالكلية الاكليريكية لإعدادها لخدمة فصول الفتيات والشابات .

يزيدهم قرباً من الله وجب أن يكون هو عارفاً بوسائل هذا الاقتراب مختبراً للصلاة، منتصراً فى حياة الطهارة والعفة محباً لأسرته، مطيعاً لوالديه، أميناً فى أعماله وواجباته، مواظباً على درس الكتاب المقدس وكتب الآباء.

وليس من الصواب أن يتولى أحد الخدام خدمة أكثر من فصل وإنما يكفيه فصل واحد حتى يتفرغ -خاصة إذا كان طالباً- لدروسه وامتحاناته من ناحية، ولحياته الروحية الشخصية، وقراءاته وتأملاته المخدعية، من ناحية أخرى.

يقول القديس يعقوب الرسول: «لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم» (يع ٣: ١).

إن من يعلّم يجب أن يداوم على التعلم حتى أن القديس بولس ينصح تلميذه القديس الأسقف تيموثاوس قائلاً: «لا حظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، فإنك أن فعلت ذلك تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً» (١تى ٤: ١٦) فإذا كانت هذه النصيحة توجه لأسقف قديس، فكم بالحرى لشماس صغير فى أدنى درجات الشماسية؟ فتحميل الخادم مسئوليات أكثر مما يحتمل فيه مغامرة بحياة الخادم، و يسير الخدمة.

من هنا تأتى أهمية متابعة الخادم للدرس، والمواظبة على حضور القداس الإلهى، وعدم إهمال اجتماعات الخدام، فوسائط النعمة، ووجوده بين زملائه الخدام للصلاة والدراسة أمور هامة جداً لتثبيته فى المستوى الروحى الذى يحفظه من الفتور، و يقيه من الزلل والانكسار.

ولا ينبغى أن يرتئى الخادم فوق ما يستطيع فليس من الصواب مثلاً أن يغامر شاب بتدريس فصول الفتيات بعد سن الثانية عشرة على أكثر تقدير، إنما يجب أن تنظم الخدمة بحيث تقوم خادمات شماسات بهذه المهمة، أو يتولى الأب الكاهن شخصياً تنظيم اجتماعات خاصة من شأنها أن تسد هذا النقص.

حقيقة إن لتعليم البنت داخل الكنيسة أهمية الكبرى، ولكن بشرط أن يخلو من أى خطأ أو انحراف أو عثرة، وإلا انتفى وجود روح الله، ومن هنا تحدث الأخطاء الجسيمة. ولا يقل إعداد الشماسات أهمية أو خطورة عن إعداد الشمامسة والمعلمين

بالكنيسة: ففتاة اليوم هى عائلة المستقبل، ولذلك كان من الضرورى أن يشمل تخطيط الخدمة إعداد الخادمات الفاضلات اللائى يستطعن تولى هذه المسئولية تحت إشراف ورعاية الأب الكاهن أو من يحل محله من الآباء المتقدمين فى الخدمة المشهود لهم بالخبرة والحياة المنتصرة.

ومن الأمور التى قد تشغل الخدام عن جوهر الخدمة اهتمامهم بالإداريات والمناقشات الغبية التى تولد خصومات، وتعطى الفرصة للذاتية فتظهر، ووسط الصخب والضجيج يخفت صوت الله وتعلو أصوات الأنانية والكبرياء.

وهذه فرصة زارع الزوان، عدو الخير الذى يأتى ليلاً، ونحن نيام أى ونحن غير ساهرين على صيانة كنزنا الداخلى: ملكوت الله الذى فينا، ليزرع الشوك والإنقسام بيننا وبين الله، وبيننا وبين بعضنا البعض. وعوضاً عن أن نلتفت، بوداعة واتضاع قلب، إلى خلاص نفوسنا ونفوس العدد الصغير من الأطفال الذى أوكلنا على رعايته وخدمته نبتدىء فى مخاصمة بعضنا، والدفاع عن آرائنا فى غضب وانفعال مما يحزن روح الله الساكن فينا ويمنع عنا ثماره الروحية الحلوة، ثم لا نلبث أن نجد أنفسنا وقد بعدنا عن حضرة الله، وسحابة كثيفة تقف بيننا وبينه. لنختلف فى الرأى، ولنتناقش معاً، ولكن بروح المحبة، وبهدف الرغبة فى التفاهم، وتمجيد اسم الله فقط لا على حساب المبادىء أو الفضيلة. أما إذا أخطأ أحد الخدام فبروح المحبة، وفى سكون ننصحه ونوبخه وننذره ونحتمله، ونصلى من أجله، لعله فى النهاية يصحح خطأه.

وأخيراً إذا كانت الغاية من التربية الروحية أن نصل تلاميذنا بالكنيسة ليرتبطوا بها ويحيوا فيها وينموا خلالها فى كمال الفضيلة، فإن الواجب يحتم على الخادم أن يعرف هذه الكنيسة معرفة أكيدة، ومن علامات ذلك موعد حضوره الصلوات، فالخادم المحب لإلهه يشتاق إلى حضور بيته مبكراً. وقد قال إلهنا «الذين يبكرون إلىّ يجدوننى» فلنجتهد إذاً أن نأتى إلى الكنيسة فى موعد مبكر لنتمتع بالصلاة المبكرة الحلوة العميقة الفائدة للنفس الأمينة لإلهها. ولنلاحظ أيضاً أن اهتمام الخادم بالصلاة فى الكنيسة واستغراقه فيها والتلذذ الروحى بها هو من علامات تقدمه فى النعمة، لأنه مسكين هو الخادم الذى لا يعرف كيف ينتهز فرصة القداس الإلهى وصلوات الكنيسة فى التمتع بهذه النعم الفائقة بطريق التأمل فيها. وخادم الله ينصت فى البيعة لكل ما

يقال فيهتم ويحفظ جميع هذه الكلمات متفكراً بها فى قلبه. على أننا لو أمكننا أن نتقدم خطوة فى هذا الأمر، لازدادت الفائدة التى نجنيها من حضور الكنيسة. فإنه من الصالح أن يكون لخادم التربية الكنسية إحدى درجات الشماسية. وأن تكون له الفرصة أن يخدم فى الكنيسة خدمة أعمق فى القداس الإلهى. فإن هذه الخدمة مفيدة جداً لنمو النفس. فإذا كنت يا أخى ممن لهم درجة شماسية فلا تهملها بل انتهز الفرصة المناسبة للافادة منها، فإن لم تتمكن لسبب ما فلا تخمد شعور الخدمة فى نفسك بل زده اشتعالاً، وليزدد حنينك إلى خدمة الهيكل حتى يحين الوقت الذى يسمح لك الرب فيه بأن تخدمه خدمة مقبولة طاهرة. وحينئذ تتيقن أنك تقترب من أمور عجيبة سامية لا تجسر الملائكة أن تتطلع إليها.

كما أن خادم التربية الكنسية يُفترض فيه أن يلم إلماماً طيباً بطقوس الكنيسة وخدماتها، وليس ذلك فقط استعداداً لما سيتعرض له من أسئلة أولاده، بل لأن هذه المعرفة فى ذاتها سبب نمو طيب لحياته إذ يمكنه أن يتفهم وتستفيد روحه من روعة معانى طقوس كنيستنا المحبوبة، فلا تهمل معرفة هذه الممارسات الكنسية، ومارسها بفهم وبهمة.

كما يفترض فيك دوماً أن تكون ملماً إلماماً حسناً بألحانها للافادة منها فى الصلاة لأن لها تأثيراً حسناً جداً فى ارتباط فكرك بالأمور الطاهرة حين تمشى فى الطريق أو حين تهاجمك الأفكار الشريرة، ولعلك جربت فائدتها القوية فى حفظ الشعور التقوى فى نفسك حين يحاول العالم أن ينفذ إلى قلبك.

وهناك أمر آخر يفترض توفره فى الخادم، وهو احترام وتوقير كهنة الله. ونحن نخطىء إلى أنفسنا كثيراً إذا أهملنا الفرص التى تسنح لنا لنوال البركة من كهنة الله العلى العظيم الذين بواسطتهم يسر المسيح إلهنا أن يعطينا أسراره الرهيبة، وتتجلى محبتنا وطاعتنا لآبائنا الكهنة فى اشتياقنا لنوال بركتهم والتحدث عنهم بمحبة واحترام، واستماع أقوالهم وتوثيق صلتنا بهم أكثر فأكثر، خصوصاً وأنهم آباء اعترافنا والمهتمون بعلاج مشاكلنا الروحية، والأمناء على أسرارنا، وثق يا أخى الخادم أنك لن تنجح فى تعليم أولادك الطاعة والمحبة ما لم تكن أنت أولاً إبنا مطيعاً لأبيك الروحى محباً له. وما أحلى أن نرى الأب الكاهن يبارك خدام التربية الكنسية ويطلب لهم القوة فى

خدمتهم . إن خدمتهم بين أولادهم لا شك ناجحة بقوة المسيح .

ومحبة الكنيسة وعلاقتنا بها تتضح أيضاً فى غيرتنا عليها ، غيرة حسب التقوى والمعرفة ، فليس حسناً أن تخفى غيرتك على الكنيسة ، أو تظن أن تمسكك بتقاليدها وتعاليمها هو ضرب من « التعصب » كما قد يجول بفكر البعض أحياناً ـ بل عليك كمسيحى أمين أن تتمسك بالحق وتبشر به فى شجاعة وأمانة وألا تقصر فى الحديث عن كنيستك بحماس قلبى . فلا يليق إطلاقاً أن يفهم الناس من حديثك أن كنيستك تستوى لديك وأية كنيسة أخرى تخالفها فى التعليم . بل كن ثابت العقيدة مستقيم الرأى لأنه لا يمكنك أن تعلم الأولاد الثبات فى الإيمان والتمسك بالحق ما لم تكن أنت أولاً كذلك ، كما ينبغى أن تفهم أولادك وأصدقاءك معلومات صحيحة عن كنيستك . كما ينبغى أن تبث فيهم التعليم الصادق عن الأوضاع الصحيحة التى ينبغى أن تكون فى الكنيسة . ولتفعل هذا بحلم ولطف يليقان بمسيحى تقى يحب الرب إلهه .

يا اخوتى الخدام ، إن خدمتنا لا تزهو أو تنمو إلاَّ إذا كانت علاقتنا بكنيستنا المحبوبة علاقة وثيقة وطيدة ، ولعل الكثيرين منا الآن لا يحسون تماماً بالنعمة الجزيلة المفاضة عليهم بوجودهم بين أحضان كنيسة مقدسة عميقة الروحانية . ولكن إذا سمح الرب إلهنا لواحد منا أن يتغرب زماناً عن كنيسته ، فسيجرب فى نفسه حقاً عمق الحنين إلى الكنيسة ، وحرارة الشوق إلى التمتع بصلواتها . سيتمنى يوماً واحداً من أيامها الحلوة ، وستبتهج نفسه لو نالت ولو لحظات قصيرة فى جوار الهيكل المقدس ، بل ستتمنى نفسه لو جلست على العتبة الإلهية فى بيت إلهنا . وان تسمع ولو لحناً واحداً شجياً من ألحانها ، وأن تشترك ولو بكلمتين صغيرتين فى صلواتها ، وأن تنال ولو بركة خاطفة من آبائنا الكهنة .

« ما أحلى مساكنك يارب القوات . تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب ، قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى . لأن العصفور وجد له بيتاً واليمامة عشاً تضع فيه فراخها . مذابحك يارب الجنود ملكى وإلهى ، طوبى لكل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبد » .

فهرس

صـــفحة

تقديم ٣
فكرة الكتاب ٧

عـــوامـــل الـــتربيـــة

أولاً دور المنزل فى التربية الروحية ١٢

المنزل والتربية المنزلية ١٢
تأثير البيئة المنزلية ١٣
واجب الوالدين ١٤

الأسس الروحية التى يقوم عليها المنزل المسيحى ١٦

١ ـ اكرام المسيحية للطفولة ١٦
٢ ـ اكرام الوالدين ١٦
٣ ـ استقرار الأسرة المسيحية على أسس روحية ١٧
٤ ـ الاهتمام بالعبادة العائلية ١٧
٥ ـ قانون المحبة ١٩

أهمية الأسرة مسيحياً ١٩

وظائف الأسرة ٢٢

١ ـ وظيفة الحب ٢٢
٢ ـ إيجاد أعضاء أحياء لكنيسة الله ٢٣

٣ ـ الشهادة الحسنة أمام الذين هم من خارج ٢٥
المنزل المسيحى والمساهمة فى خدمة الكنيسة ٢٨
ثانياً المدرسة كمجال للتربية ٣٠
مظاهر تأثير المدرسة فى التربية الدينية ٣٢
دور المدرسة فى التربية الدينية ٣٣
واجب الكنيسة إزاء التربية الدينية بالمدرسة ٣٦
وسائل الصلة بين الكنيسة والمدرسة ٣٧
ثالثاً الكنيسة كمجال للتربية الروحية ٣٩
١ ـ إنها تمنح الطفل نعمة الميلاد الثانى ٣٩
٢ ـ تمنح الكنيسة للطفل أيضاً سر الميرون ٣٩
٣ ـ فى مرحلة البلوغ ٤٠
٤ ـ طقوس الكنيسة رسالة تربوية مستمرة ٤٠
٥ ـ للألحان مكانة خاصة متميزة بين هذه الطقوس ٤١
٦ ـ مركز الأيقونات فى الكنيسة ٤١
٧ ـ إن الكنيسة لم تقف عند تهيئة الجو الروحى ٤٢
٨ ـ دور الكنيسة فى نقل التراث الدينى ٤٢
٩ ـ واجب الكنيسة فى مجتمع متطور ٤٣
رابعاً التربية الكنسية كمجال للتربية ٤٥
الحياة الروحية بين التعليم والتسليم ٤٥
لماذا قامت خدمة التربية الكنسية ٤٧
هذه المبادىء ٥٠
المسيح المربى ٥٦
المعلم الكنسى واجباته والشروط الواجب توافرها فيه ٥٨
اعداد المعلم فى الوقت الحاضر ٦١